

# **النحو العربي**

**تاريه وخصائصه وأعلامه**

**أ.د. ممدوح عبد الرحمن الرمالى**

أستاذ العلوم اللغوية

رئيس قسم النحو والصرف والعروض

الرمالي ، ممدوح عبد الرحمن

النحو العربي : تاريخه وخصائصه وأعلامه

/ ممدوح عبد الرحمن الرمالي . - ط١٠ - المنيا :

دار التيسير للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦ ،

ص ٢٤٤ سم

٩٧٧ ٣٩٧ ٥٨٢ تدمذك

١- اللغة العربية - النحو - تاريخ

أ- العنوان

٤١٥,١٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الكتاب بلسان عربى مبين  
والصلة والسلام على أشرف المرسلين وبعد  
دفعني للكتابة فى هذا الموضوع بعد أن أجزت سلسلة من البحوث  
الأكاديمية والكتب التعليمية فى تخصص العلوم اللغوية والساميات  
والترجمة بصفة عامة والنحو والصرف والعروض بصفة خاصة ودراسات  
حول العربية المعاصرة وطرق دراستها وتأصيل ظواهرها ورصد التغير  
الذى طرأ على هذا المستوى من العربية بلغ ما يقرب من مائة مؤلف ما  
عهدت إلى جامعة المنيا من إعداد تصور للتعليم المفتوح فى العلوم العربية  
وأن أحد المقررات لفرق الأربع لليسانس اللغة العربية بالتعليم المفتوح ،  
فوجدت فى ذلك مناسبة لأن أكتب مادة تميز لليسانس التعليم المفتوح عن  
ليسانس دار العلوم ، وكان هذا هو هدف الجامعة ، لكنى وجدت فى ذلك  
مناسبة يستطيع من خلالها الدارس بكليات دار العلوم أن يتمتع على  
خريطة النحو العربى وأن يعرف الغرض من دراسة هذا العلم وأداته  
ومجالات تطبيقه - سواء فى ذلك التعرف على ظواهر اللغة أم القواعد  
الضابطة لهذه اللغة أم طريق الولوج إلى تحليل النص - ومراحله والهدف  
من ظاهرة الإعراب التي لا تتحصر في تحديد العلامة الإعرابية وإنما  
تهدف إلى بيان ما ينطوى عليه هذا العلم والفوائد التي تعود على الدارس  
من معرفة أعلام النحو العربى وتاريخ هذا العلم وطرق التأليف فيه  
وحلقات هذا التأليف ، وأن أضيف بهذا الكتاب جانبا لم يتع للدارسين أن  
يجدوه فى مؤلفات تاريخ النحو كنشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى

وسبيوبيه إمام النحاء على النجدى ناصف ، والخليل بن أحمد للدكتور مهدى المخزومى ، والمدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ، والنحو التعليمى فى التراث العربى للدكتور محمد إبراهيم عبادة ، ومدرسة البصرة للدكتور عبد الرحمن السيد ، ومدرسة الكوفة ومنهجها فى اللغة والنحو للدكتور مهدى المخزومى والمدخل إلى النحو والصرف للدكتور عبد العزيز عتيق وغيرها ، وذلك الجانب الذى أردت أن أضيفه هو جانب الفكر النحوى وتاريخ النحو الذى توقفت الكتب فيه عند حد المسوزطى أو الألفية وشرحها وحواشيها ، فلقد حدثت بعد هذا الحد طفرة فى التأليف النحوى بدأت فى العصر الحديث فى مصر وفي بلدان العالم العربى مثل سوريا والعراق وببلاد المغرب العربى وتونس والجزائر ، وانتشر فى ذلك أعلام ظهرت مؤلفات وتطبيقات عديدة لنظرية النحوية المعاصرة المهجنة فقد استعانت هذه النظرية بطرق التحليل العربى التقليدية واستعملت أدواتها بحيث لم يغناها عنها مناهج الدرس النحوى الحديث ورموزها وفكرها النحوى بحيث دخلت أدوات تحليل هذا العلم - أقصد النحو العربى - فى التحليل البنوى والتحليل الشجيري والتحليل التجميمى والتحليل الأسلوبى والتحليل النصى ، وكان للبعثات العلمية إلى أوروبا وأمريكا دور فى نمو هذا الاتجاه ظهر الدكتور تمام حسان والدكتور كمال بشر والدكتور عبد الرحمن أيوب والدكتور إبراهيم أنيس والدكتور أحمد مختار عمر والدكتور محمود السعران والدكتور حسن ظاظا وأالدكتور محمد أحمد أبو الفرج من جامعتى القاهرة والإسكندرية ، ناهين بأعلام التأليف النحوى فى العالم العربى الذين عرفوا من خلال مؤلفاتهم

كالدكتور مهدى المخزومى والدكتور مالك يوسف المطلى والدكتور ابراهيم السامرائى والدكتور محمد حسن آل ياسين والدكتور فاضل الساقى وغيرهم من العراق والدكتور سعيد الأفغاني والدكتور فخر الدين قباده والدكتور مازن الوعر وغيرهم من سوريا ، والدكتور عبد القادر الفاسى الفهري والدكتور أحمد المتوكل والدكتور أحمد الادرسى والدكتور محمد الحناش والدكتور عبد السلام المسدى والدكتور محمد الهادى الطرابلسى وغيرهم من المغرب العربى .

غير أن مؤلفات أعلام المغرب العربى ولبنان اتسمت بكذادة الأسلوب والإغراء فى الغموض بسبب استعمال المعادلات الرياضية التى تخدم القارئ الأجنبى أو الفرنسي بصفة خاصة فى ميدان الدراسات العربية دون أن تقدم للقارئ العربى سوى الأفكار النحوية إن توفرت لديه القدرة على استخلاص هذه الأفكار، وإذا كان اتجاه الدرس فى كليات دار العلوم يتجه إلى الجانب الأدائى وأقصد الأداء الكلامى وأن الطالب أو الدارس يخرج دائماً وفي ذاكرته حصيلة من الأبيوab هى الإعلال والإبدال والتواصخ والمعرب والمبنى والمنصوبات والمعارف والتوابع وال مجرورات ودراسة الأفعال والمصادر والمشتقفات دون أن يكون هناك تصور للمنهج الذى يجمع هذه الظواهر والأفكار النحوية التى أفرزت طرق التحليل النحوى والإعرابى أو حتى الإلمام بأعلام هذا الدرس النحوى الذين اختلفت بينهم وأزمانتهم وانتماءاتهم ومذاهبيهم العقائدية والفكريه وتتأثرهم بعلوم الكلام والفقه والفلسفة وتوزعهم ما بين أشاعرة ومعتزلة وظاهرية بحيث وظفت

هذه العلوم في طرق الأداء النحوى من ناحية وطرق التحليل من ناحية أخرى .

وقد جاء هذا العمل صورة مبسطة لما طرأ على الدرس النحوى في القديم والحديث بحيث يرصد هذا الخليط الذى عرضته فى هذه المقدمة دون أن يتعرض بالتفصيل لجزئيات هذا الخليط لكنه يبين أثر كل ذلك على

هذا العلم تاليفاً ومنهجاً وطرق عرض وتحليل .

وبعد فإني أرجو من الله العلي القدير أن ينفع بهذا العمل الدارسين وطلاب العلم وأن ينفعنا به وأن ينفع الناس بنا وبه والله الحمد ومنه المنة وهو سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

أ.د / ممدوح عبد الرحمن الرمالى

أستاذ العلوم اللغوية

ورئيس قسم النحو والصرف والعروض

الإسكندرية يونيو ٢٠٠٦

## وضع علم النحو

ذهب جمهور العلماء إلى أن وضع النحو كان في الصدر الأول للإسلام إذ أن علم النحو ككل قانون تتطلبه الحوادث ونecessitate الحاجات ولم يكن قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه فانهم في جاهليتهم غربين عن تعرفه لأنهم كانوا ينطقون عن سلقة جبلوا عليها فيتكلمون في شتونهم بدون إعمال فكر أو رعاية قانون كلامي يخضعون له حتى هرعوا إلى وضع النحو ، وكان وضعه ونشوئه بالعراق لأنه على حدود الbadia وملتقى العرب وغيرهم .

وذهب فريق إلى أن العرب كانوا يتأملون موقع الكلام وأن كلامهم ليس استرسالاً ولا ترجيحاً بل كان عن خبرة بقانون العربية، فالنحو قديم فيهم أبلته الأيام ثم جده الإسلام على يد أبي الأسود الدؤلي بارشاد الإمام على كرم الله وجهه ويمثل هؤلاء العلماء أحمد بن فارس القزويني الذي ذهب إلى أن علوم العربية من النحو ومصطلحاته والخط والعروض كانت معروفة لدى العرب من قديم الزمن ثم درست وأمحقت ثم جاء الإسلام فجددها وبعثها من جديد بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث نسب ذلك إلى الموفق الأول وهو الله تبارك وتعالى .

## ظهور مصطلح "النحو"

تضارفت كتب الأدب والترجم وطبقات على أن علم النحو كان

يسمى في عصر أبي الأسود الدؤلي باسم "العربية" فقد قال ابن سلام الجمحي في طبقاته : " وكان أول من استن العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي "

وقال ابن قتيبة : " أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي " <sup>(١)</sup>

وقال ابن حجر العسقلاني : " أول من ضبط المصحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي " <sup>(٢)</sup> وقال الإمام علي بن أبي طالب لأبي الأسود حينما سأله : فهم تفكير يا أمير المؤمنين ؟ قال سمعت بيلاكم لعنة فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية " <sup>(٣)</sup>

وروى محمد بن عمران بن زياد الضبي قال : " حدثني أبو خالد قال : حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم قال : جاء أبو الأسود الدؤلي إلى عبد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية " <sup>(٤)</sup>

وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عباس عن عاصم قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي "

<sup>(١)</sup> ابن قتيبة : المعارف : ٤٠٣

<sup>(٢)</sup> ابن حجر العسقلاني : الفصلية في تميز الصحابة ٢٠٣/٤

<sup>(٣)</sup> القططى : أئمـة الرواـة : ٤

<sup>(٤)</sup> الزبيدي : أخـبارـ النـحـوـيـنـ الـبـصـرـيـنـ : ٣٤٠

ويقول السيرافي في ترجمة نصر بن عاصم : روى محبوب البصري عن خالد العزاء قال : سألت نصر بن عاصم وهو أول من وضع العربية كيف تقرؤها .

وطلت هذه التسمية - العربية - طيلة الطبقات الأربع الأوليات بحسب تقسيم أبي بكر الزبيدي - أو الطبقتين الأوليين بحسب تقسيم الشيخ محمد الطنطاوي حيث لم يكن ثمة ذكر لكلمة "النحو" حينئذ ، وإنما كان أول عهد الناس بإطلاق المصطلح "نحو" على هذا العلم هو ما جاء على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو يمثل الطبقة الخامسة عند الزبيدي والثالثة عند الطنطاوى ، فمصطلح النحو لم يكن معروفاً ولا متداولاً بين العلماء في زمن أبي الأسود الدؤلي ولا في عصر من جاء بعده من نحاة الطبقات الأربع الأوليات ، وإنما ما كان معروفاً ومتدادلاً هو مصطلح "العربية" ثم ظهر مصطلح "النحو" الذي أخذ في الزيوع والانتشار على ألسنة العلماء حتى استقر وثبت وأصبح علمًا على هذا العلم المنوط به ضبط اللغة وصيانتها من اللحن والفساد .

ويقال إن أبي الأسود الدؤلي لما عرض على الإمام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ما وضعه من النحو أقره بقوله : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت "فائز العلماء تسمية هذا العلم باسم النحو استيقاء لكلمة الإمام رضى الله عنه التي كان يراد بها أحد معانى النحو اللغوية والمناسبة بين المعنيين اللغوى والاصطلاحي جلية واضحة<sup>(١)</sup>"

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٣٣

يقول ابن الأثيرى : بعد أن ذكر رواية أبي الأسود هذا العلم من الإمام على - عليه السلام - فلذلك سمي النحو نحواً<sup>(١)</sup>  
يكاد يكون هناك اتفاق على أن أبي الأسود له المجهود الأكبر فى وضع النحو ، لكن لم يكن يعرف فى عهده بهذا اللقب بل كان يعرف بعلم العربية ، لكن ولادة هذه التسمية لم تتجاوز الطبقة الثانية فقد اشتهرت عنها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية وصرح فيها باسم النحو لذا كانت تسمية كتب الترجم لهذا العلم فى عهد أبي الأسود بعلم النحو تسمية مجازية مبنية على الاتساع فلم تحدث هذه التسمية إلا فى وقت متاخر عن أبي الأسود لقب بها هذا النوع من علم العربية وسمى بهذا لعما قيل من أن على بن أبي طالب قال لأبي الأسود : " انح هذا النحو " أو " ما أحسن النحو الذى نحوت " ، وأنا كنا لا نعرف بالدققة زمن التسمية ولا واضعها .

<sup>(١)</sup> نزهة الأكيد في أخبار الأدباء لابن الأثيرى :

واضع علم النحو

اختلاف العلماء حول واضع علم النحو :

- ذهب بعضهم إلى أن : آبا الأسود الدؤلي هو أول من رسم النحو وذهب آخرون إلى أنَّ نصر بن عاصم الليثي هو أول من رسم النحو ويرى البعض أن عبد الرحمن بن هرمز هو أول من رسم النحو وأكثر العلماء على أنَّ آبا الأسود الدؤلي هو واضع النحو العربي .

- ومنهم من نسب إلى ثلاثة جميعاً وضع النحو يقول أبو بكر الزبيدي : "أول من أصل النحو وأعمل فكره فيه أبو الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعا للنحو أبواباً وأصلوا أصولاً له ."

- ولكن جمهور العلماء كابن سالم الجمحى وابن قتيبة والزجاجى وأبى الطيب اللغوى والسيرافى والزبيدى ، وابن التدمى ، وابن الأنبارى والقطى - يجمعون على أن أول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلى .

- وقد انفرد ابن الأنبارى والقطى بنسبة وضع النحو ابتداء إلى الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ما سبق يتبين أنَّ وضع النحو ينحصر في شخصين لا ثالث لهما الإمام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وأبو الأسود الدؤلى .

إلا أن بعض المحدثين يشكك في هذا الأمر رغم توافق الروايات وتطابق أقوال السلف وتضاد المؤرخين حرياً وراء ترهات يتشدق بها المستشرقون دون مصداق أو برهان .

فهذا هو الأستاذ إبراهيم مصطفى يقول : ولكننا لا نستطيع أن ننقبل ذلك ويعنى وضع أبي الأسود للنحو - بيسر أن نستتبع أن هذا الزمن المبكر قد تمكن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذى تراه فى كتب العربية وقد أنكر ذلك المستشرقون وعدوه خرافة .

ثم دخل عامل آخر وهو هوى بعض المؤلفين إذ كانوا يكرهون أن ينسب شئ إلى زiad ويحبون أن ينسب كل شئ إلى على وشيعته . فالروايات والأخبار المختلفة الموجودة في كتب الطبقات والتراجم وغيرها تكاد تجمع على نسبة علم النحو "العربية" إلى أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٦٩هـ ، فهو أول من رسم للناس النحو أو هو أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها . وتشير الروايات والأخبار إلى أن أبي الأسود الدؤلي وضعه بمثورة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه - فقد فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه؛ لأنه أعطاه أصولاً بنى منها وعمل بعده عليها .

ويعود السبب في وضع النحو إلى انتشار "اللحن" على الألسنة حين اختلط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس غير العربية . ونقدم روايات تتحدث عن نشأة النحو وهي تمضي على النحو التالي : -

نسب وضع على بن أبي طالب كرم الله وجهه - لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين على بن أبي طالب فوجدت في

يده رقعة فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين فقال إنى تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء "الأعاجم" أردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ، ويعتمدون عليه ثم ألقى إلى الرقعة وفيها مكتوب : الكلام اسم و فعل وحرف ؟

فالاسم ما أتبأ عن المسمى ، والفعل ما أتبأ به ، والحرف ما جاء لمعنى ، وقال لي : اتح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك . وأعلم يا أبو الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر وإنما يتقابل الناس - يا أبو الأسود - فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك الاسم المبهم .

قال أبو الأسود : فكان ما وقع إلى " إن وأخواتها " ما خلا " لكن " فلما عرضتها على عليَّ - رضي الله عنه - قال لي : وأين لكن ؟ فقلت / كا حسبتها منها ، فقال : هي منها فالحقها . ثم قال : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت فاذلك سمي النحو نحواً وهناك بعض الملاحظات التي تستطيع التوصل إليها<sup>(١)</sup> من تلك الرواية :

- ١- يعود السبب في وضع النحو إلى انتشار اللحن .
- ٢- يعد أبو الأسود الدولى إمام النحو ورائدهم ، لذلك أجمعت المصادر على أن النحو نشأ بالبصرة ، وبها اتسع ونما وتكامل وصار علمًا حدوده وموضوعاته وقضاياها وأن ألمته ورواده بنزعتيه السمعانية والقياسية من علماء البصرة .

<sup>(١)</sup> أصول النحو العربي د. حمود سليمان باقوت

٣- أحسن أبو الأسود الدؤلي الإقادة من الإمام على كرم الله وجهه الذي نسبت إليه الروايات والأخبار خوضة في النحو وحدوده ومن ذلك ما قاله القطبي : رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة على بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي .

وقد أشارت كتب الطبقات والترجمات إلى أن أبي الأسود كان محباً للإمام على كرم الله وجهه وكان من المتحلقين بمحبته ومحبة ولده .

٤- عرف النحو منذ المراحل الباكرة بعض المصطلحات التي ما تزال مستعملة حتى الآن مع تقديم تعريف لها ومن ذلك ما يتصل بأقسام الكلمة الثلاثة : الاسم والفعل والحرف والحد الخاص بكل واحد منها .

٥- سمي النحو العربي نحواً من قول الإمام على لأبي الأسود : "ما أحسن هذا النحو الذي نحوت "

وقد اعترض بعض المحدثين على الرواية السابقة وما بما يماثلها من الروايات لأن بها الكثير من التعريفات والتفسيرات المنطقية التي لا يعقل أن تصدر عن الإمام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أو أحد معاصريه ، والرأي عندنا أن خوض الإمام على في النحو مصطلحاته وأبوابه المختلفة ليس بمستغرب أو بمستبعد لما عرف عنه من الصراحة والبيان وتذوق الأساليب العربية العالية في أدانها اللغوى ، بالإضافة إلى أن ما وصل إلينا منسوباً إليه عبارة عن بعض الروايات والأخبار أو المقدمات ، وليس كتاباً قائماً بذاته يجمع كل ما يتصل بالنحو العربي .

أما عن أبي الأسود فهو أحد الرواد الأوائل وجهده في نشأة النحو إنما هو جهد المؤسس الذي فتح الباب أمام معاصره ومن أنوا بعده وهناك عدة روايات تدل على أن الخطأ في الإعراب كان أحد العوامل الأساسية التي أدت إلى نشأة النحو ونقدم بعض تلك الروايات :

(١) قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال من يقرني شيئاً مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل مسورة براءة فقال : أن الله بريء من المشركين ورسوله " بالجر لكلمة رسوله " فقال الأعرابي : أو قد بريء الله من رسوله إن يكن قد برأ من رسوله فلأنه أبيرا منه فبلغ عمر - رضى الله عنه مقالة الأعرابي ، فدعاه فقال يا أعرابي : أبيرا من رسول الله فقال : يا أمير المؤمنين : إبني قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني فاقرئني هذا سورة براءة فقال : إن الله بريء من المشركين ورسوله " فقلت : أو قد بريء الله تعالى من رسوله ! إن يكن بريء من رسوله فلأنه أبيرا منه .

فقال له عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا أعرابي فقال كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن الله بريء من المشركين ورسوله فقال الأعرابي : وأنا - والله - أبيرا من بريء الله ورسوله منه فأمر عمر رضي الله عنه لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبي الأسود أن يضع النحو .

و واضح من هذه الرواية أن نشأة النحو ترتبط باللحن حين قراءة آى الذكر الحكيم ، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى أمر أبا الأسود بوضع النحو وتشير إلى أن كلمة رسوله مرفوعة من ثلاثة أوجه : أولها : "رسول" مبتدأ ، والخبر مضاف والثانية : رسوله برى وثم حذف الخبر لدلالة الأول "برى" عليه .

الثالثة : رسول اسم معطوف على الضمير المستتر فى كلمة برى إذ التقدير : برى هو وجاز العطف على الضمير المرفوع وإن لم يؤكد لوجود الفاصل بالجار والمجرور "من المشركين" أنه يقوم مقامه .

الرابعة : رسول مرفوع بالعلطف على موضع "أن" وأسمها "أن الله" وموضعه الرفع لأنه يجوز أن نقول : إن زيداً قائم وعلى بالرفع لكلمة "على" .

(٢) روى أن ابنة أبي الأسود الدولى قعدت معه فى يوم قاتظ شديد الحر فأرادت للتعجب من شدة الحر فقالت : ما أشد الحر فقال أبوها القبط ، وهو ما تحته فيه يا بنتي ، جوابا عن كلامها لأنها استفهام فتحيرت وظهر له خطوها فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب فقال لها قولى يا بنتي : ما أشد الحر .

فعمل بابا التعجب وباب الفاعل والمفعول به وغيرها من الأسلوب و واضح من هذه الرواية أنها تربط نشأة النحو العربى باللحن فى اللغة المنطقية التى كانت عبارة عن حوار بين أبي الأسود وابنته ، وأن أبا الأسود وضع النحو دون أن يأمره أحد بذلك ، وتشير إلى أن "ما أشد الحر" أسلوب الاستفهام يحتاج إلى إجابة وهذا ما فعله أبو الأسود حين أجاب عن

سؤال ابنته التي لم تكن تقصد ذلك في حين أن "ما أشد الحر" أسلوب تعجب لا يحتاج إلى إجابة ولكن ربما يحتاج إلى تعليق من الطرف الآخر للدلالة على المشاركة في الرأى أو الرفض . وحين الإعراب لأسلوب الاستفهام الذى استعملته على سبيل الخطأ ابنة أبي الأسود نقول :

ما : اسم استفهام مبني على المكون فى محل رفع مبتدأ .

أشد : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف الحر : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره لأنه مفرد .

وحين الإعراب لأسلوب التعجب الذى استعمله أبو الأسود لتصحيح خطأ ابنته نقول :

ما : اسم تعجب مبني على المكون فى محل رفع مبتدأ وهى نكرة تامة بمعنى "شيء"

أشد : فعل ماض مبني على الفتح ، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره "هو" يعود على "ما" والجملة من الفعل والفاعل فى محل رفع خبر "ما" .

الحر : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره .

(٣) قال عاصم بن أبي النجود : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ، جاء إلى زياد بالبصرة ، فقال إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت لسانتهم ، أفتاذن إلى أن أضع للعرب كلاماً يقيسون به كلامهم ؟ قال : لا فجاء رجل إلى زياد فقال أصلح الله الأمير ! توفى أبيانا وترك بنون . فقال زياد : توفى أبيانا وترك بنون ! ادع إلى أبي الأسود فقال : ضع للناس الذي كنت تهينك أن تضع لهم .

وواضح من هذه الرواية أنها تربط نشأة النحو باللحن في اللغة المنطقية الذي تتبه إليه زياد بن أبيه وقد أمر أبا الأسود بوضع النحو للناس بعد ما كان قد تنهى عن ذلك وتحذ ذلك الرواية صورة أخرى يقول ابن زياد بن أبيه قال لأبي الأسود : يا أبا الأسود ابن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعتم شيئاً يصلح به الناس كلهم ويعربون به كتاب الله فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأله .

ثم تشير الروايات إلى أنه استجاب له فيما بعد .

ونشير إلى أن الصواب للعبارة التي أنكرها زياد هي : توفى أبوينا وترك بنين . وأبوانا نائب فاعل ، "بنين" مفعول به .

وإذا كانت الروايات والأخبار التي وردت في كتب الطبقات والتراجم وغيرهم تكاد تجمع على نسبة وضع علم النحو إلى أبي الأسود فإننا لا نعد بعض الروايات الأخرى التي تتسب هذا الوضع إلى غيره من النحاة وقد أحسن التعبير عن هذا ابن التديم في قوله : "زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدولي ، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب . وقال آخرون :

رسم النحو نصر بن عاصم الدولي ويقال الليثي ، قرأت بخط أبي عبد الله ابن مقلة عن ثعلب أنه قال : روى ابن لهيعة عن أبي النصر قال : كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها وأحد القراء ، وكذا حدثى الشيخ أبو سعيد السيرافي رضى الله عنه .

وورد نص عن الزبيدي ينسب علم النحو إلى جهود ثلاثة هو أبو الأسود ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ، فوضعوا للنحو أبواباً وأصلوا له أصولاً ، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخضن والجزم ووضعوا باب الفاعل والمفعول والمضاف ثم يستدرك الزبيدي قائلاً : وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم .

- مجموعة من الآراء حول نشأة النحو العربي :

١- وضع أبو الأسود النحو اعتماداً على بعض الأصول والأبواب التي ألقاها إليه الإمام على - كرم الله وجهه .

٢- وضع أبو الأسود الدولي النحو بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو زياد بن أبيه .

٣- وضع أبو الأسود الدولي النحو دون مشورة أو أمر من أحد بعد أن لاحظ وقوع ابنته في اللحن .

٤- وضع نصر بن عاصم الليثي النحو .

٥- وضع عبد الرحمن بن هرمز النحو .

٦- وضع أبو الأسود الدولي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز النحو وكان أبو الأسود الدولي له فضل السبق وشرف التقدم على هذين الرجلين ولكن دورهم هم الثلاثة هو دور الوضع للنحو .

والرأى الأول أرجحهما ويكتفى أن نلاحظ فيه الدور الرائد للإمام على كرم الله وجهه ، وقد عرف بالفصاحة والبيان وفقه الأساليب العالية والقدرة العجيبة على فهم أي الذكر الحكيم .

ويرى البعض أن النحو ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي ، وضعه  
بمشورة أمير المؤمنين على بن أبي طالب .

يقول أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري في كتابه : نزهة  
الأباء في طبقات الأدباء : " وسبب وضع على عليه السلام لهذا العلم ما  
روى أبو الأسود ، قال : دخلت على أمير المؤمنين على بن أبي طالب  
عليه السلام فوجدت في يده رقعة ، فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال:  
إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني  
الأعاجم - فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ، ويعتمدون عليه ، ثم لقي  
إليه الرقعة وفيها مكتوب : الكلام كله اسم و فعل و حرف ، فالاسم ما أتي  
عن المسمى ، والفعل ما أتباه والحرف ما أفاد معنى ، وقال لي : اتح هذا  
النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، وأعلم يا أبي الأسود أن الأسماء ثلاثة  
ظاهر ومضر واسم لا ظاهر ولا مضر وأراد بذلك الاسم المبهم ، قال  
ثم وضع بابي العطف والنعت ثم بابي التحجب والاستفهام إلى أن وصلت  
إلى باب إن وأخواتها ، ما خلا لكن فلما عرضتها على على - عليه السلام  
- أمرني بضم لكن إليها . وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو  
عرضته عليه - رضى الله عنه - إلى أن حصلت ما فيه الكفاية ، قال ما  
أحسن هذا النحو الذي قد نحوه ! فلذلك سمي النحو <sup>(١)</sup> .

و واضح من هذه الرواية ومن كثير منها يشبهها حول بدايات النحو  
أنه بدأ بسيطًا يسيراً وكان هدفه وقاية الألسنة من الخطأ في صياغة الجملة

<sup>(١)</sup> ابن الأنباري : نزهة الآباء ص ٤ وما بعدها

، وكانت أبوابه لا تتوخى حدود المنطق الأرسطي ورسومه بقدر ما تتوخى  
ما فيه الكفاية لتقويم الألسنة .

ومن آراء المعاصرين ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف حيث  
رأى أن ما نسب إلى أبي الأسود الدؤلي في وضع النحو العربي عمل من  
عيث الرواة يقول في ذلك : وكل ذلك من عيщ الرواة الوضاعين  
المتربيين وهو عيщ جاء من أن أبي الأسود الدؤلي نسب إليه حقاً أن وضع  
العربية ، فظن بعض الرواة أنه وضع النحو ، وإنما وضع أول نقط بحرر  
حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم بأمر من زياد ابن أبيه<sup>(١)</sup> .

وظاهر الأمر في ذلك أن الدكتور شوقي ضيف لا يعترف بجهود  
أبي الأسود الدؤلي في وضع الأسس للنحو العربي . ويعتبر ما كان بعد  
أبي الأسود من جهود نحوية مجرد نظرات متبايرة ثم يرى بعد ذلك أن  
أول وضع للنحو العربي هو " عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي  
(ت ١١٧ هـ) وفي ذلك قوله : فالاصل في كل علم أن تبدأ فيه نظرات  
متبايرة هنا وهناك ثم يتاح له من يصوغ هذه النظرات صياغة علمية تقوم  
على اتخاذ القواعد ما يطوى فيها أقیمة وعلل ، وأول نحوی بصری  
 حقيقي نجد عنده طلائع ذلك هو ابن أبي اسحاق الحضرمي<sup>(٢)</sup> .

والناظر لهذا الاتجاه يراه أثراً من آثار أباً احمد أمين ذلك الذي  
ذهب إلى أن تاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض ، فإذا نرى فجأة  
كتاباً ضخماً ناضجاً هو كتاب سيبويه ولا نرى قبله ما يصبح أن يكون نواة

(١) د. شوقي ضيف : المدارس النحوية من ١٦

(٢) د. شوقي ضيف : المدارس النحوية من ١٨

تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء وكل ما ذكره من هذا القبيل لا يشفي علياً<sup>(١)</sup>.

ورغم ذلك فقد رأى رؤية أخرى في صنعة أبي الأسود الدؤلي فاعتبرها مرحلة من مراحل تأسيس النحو العربي وخطوة من خطوات وضعه ، فالشيخ أحمد أمين متعددًا بين الإنكار والاعتراف بجهود أبي الأسود الدؤلي في تأسيس النحو العربي .

ويبدو أنه كان متأثرًا بما ذهب إليه المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" ذلك الذي رأى أن ما قيل عن جهود أبي الأسود وتلاميذه في علم العربية شيء من قبيل الأساطير وأن تاريخ النحو العربي بدأ مع شيخ الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبوه .

---

<sup>(١)</sup> ضحي الإسلام : ٢٨٥-٢

## البيئة الأصلية للنحو

اتفق العلماء على أن العراق كانت مهدًا لنشأة النحو وذلك للأسباب

التالية :

- ١- كانت بلاد العراق موطنًا لعجم قبل الفتح ، وبعد الفتح أقبل المسلمين عليها عرباً وعجمًا ، إذا إنها تمتاز بباب الحياة الناعمة ورغد العيش .
- ٢- كانت بلاد العراق أكثر البلاد إصابة بوباء اللحن وتعرضًا لمصابيه بسبب هذا المزاج بين العرب والأعاجم .
- ٣- أهل العراق ذو عهد قديم بالعلوم والتأليف ولهم فيها خبرة متوازنة . وكانت البصرة أسبق مدن العراق اشتغالاً بالنحو ولا عجب إذ قبل أن مهد نشأة النحو كان في البصرة ، بل لقد احتضنت البصرة النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تستغل به الكوفة التي كانت دورها أسبق من بغداد إذ كان أهل الكوفة حينئذ يشتغلون برواية الأشعار والأخبار متفرغين لهذا ، ثم اشتراك علماء المصريين البصرة والكوفة في التهوض بال نحو من عهد الخليل بن أحمد شيخ الطبقة الثانية من البصريين وأبي جعفر الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين حتى نمت أصوله وكملت عناصره في مستهل العصر العباسي الأول على يد المبرد خاتم البصريين وشاعر خاتم الكوفيين .  
وكان للبصرة الأسبقية على غيرها من مدن العراق في الاستعمال بالنحو لأن البصرة تقع على أطراف البايدية مما يلي العراق فهى أقرب

من العراق إلى العرب الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأنصار فعلى مقربة منها بوادي نجد غرباً والبحرين جنوباً والأعراب يفرون إليها منها ومن داخل البصرة ومن خارجها وليس كذلك الكوفة وبغداد فكأن هذا أهل البصرة من أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكللوا مشاق السفر .

بالإضافة إلى قرب سوق المريد من البصرة حيث تعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة ويقد إليها الشعراء ورواتهم فهي تشبه سوق عكاظ في الجاهلية ينزل فيها العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار ، واللغويون يأخذون عن أهلها ، ويدونون ما يسمعون فإذا ذذ منهم النحويون ما يصح قواعدهم ولم تكن كذلك سوق الكناة بالكوفة إذ إن ساكنيها من الأعراب أقل عدداً وفضاحة من كان بالبصرة .

## **أسباب وضع النحو**

نشأة النحو ترتبط بجذور الحياة الإسلامية ، وكان القرآن الكريم محور الدراسات والعلوم ، وهو الركيزة الأساسية .  
لذا فإن نشأة العربية انطلقت من قراءة القرآن لأن القراءة القرآنية هي التي دعت إلى ظهور " علم الأصوات " الذي نضج عند العرب ، وإلى جانب هذا كان القرآن الكريم سبب ظهور " علم الغريب " .  
ومن الطبيعي أن يكون القرآن أيضا سبب ظهور " علم النحو " لأن النحو دراسة للتركيب اللغوي ، ورصد للظواهر الإعرابية الناجمة عن القرآن اللغوية التي سميت فيما بعد بالعوامل التحوية ، وقراءة القرآن تعتمد على أواخر الكلمات أي الإعراب ، وقد ظهر اللحن أول ما ظهر في القضايا الإعرابية - وهذه العلوم كانت يطلق عليها اسم " العربية " وهي في الواقع علم واحد لأن دراسة الأصوات إنما هي دراسة للوحدات الأساسية التي يتكون منها التركيب اللغوي ، وأن دراسة الكلمات الغربية إنما هي دراسة الدلالة في مصطلح علم اللغة الحديث ، مع شيء غير قليل من الاختلاف ، أما الدراسة التحوية فهي دراسة اللغة في نظمها وأوضاع تراكيبيها والوظائف المنوطة بكلمات التركيب .  
وهناك أسباب ثلاثة لنشأة النحو هي : السبب الديني ، والسبب اللغوي ، والسبب الاجتماعي .

**السبب اللغوي :**  
يرى اللغويون أن اصل علم اللغات عند جميع الأمم هو قيام تصاد بين لغتين أو مرتين من لغة واحدة مثل لهجة العامة ولهمة الأوائل في

كتب الدين لأن التضاد بين المرتدين في اللغة الواحدة يثير في الذهن موازنة بين اللهجة التي تسمى فصيحة ، واللهجة الجديدة وتحمل الناس على معرفة الصواب ، كالذى حصل في الحياة الإسلامية . ولقد كان هناك ثلاثة مستويات لغوية هي :

١- اللغة المثالية : التي كانت تستعمل في الشعر والخطب والمواعظ وتقتيد بالإعراب وضوابطه ، فلا تخل بشئ منه ، وهذا ظاهر في قصائد الشعراء التي وصلت إلينا ، وهي تخلو من الطواهر اللهجية المحليّة كالعجمة والكشكشة ، وتبين الهمز ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم .

٢- اللغة البدوية :

وهي التي كانت تستخدم في بوادي نجد وتهامة والجاز وما جاورها وهي أيضاً تعنى بضوابط الإعراب ولا تخل به وهذا ظاهر فيما نقله النحويون من كلام الذين سموهم فصحاء وإذا فإن اللغة البدوية هي اللغة المثالية نفسها لا تختلف عنها إلا في استعمال اللهجات المحليّة التي تختلف بين منطقة وأخرى كالكشكشة وأضرابها ، وعلى الرغم من أن بعض هذه العادات قد تظهر في إنشاد الشعر إلا أنها لم تكن تعتمد عليه لأن بعضها يخل بالوزن الشعري كتحقيق الهمز الذي كانت عليه قريش .

٣- لغة الحواضر :

وهي التي كانت تستخدم في المدن كمكة والمدينة والطائف والخبر وأطراف الشام ، وهذه ليست على مستوى واحد بل يختلف بعضها عن بعض ، وتنقاوت حظوظها قرابة من اللغة المثالية وبعداً عنها ، فلغة مكة

أصبح لهجات العرب من الناحية الصوتية لأنها تخلو من العادات التي  
صارت مستهجنة في اللهجات الأخرى ولكنها إلى ذلك تحفظ الهمزة ولا  
تظهرها وهذا مخالف للغة المثالية التي نجدها في الشعر وفي أصل  
قراءات القرآن .

أضف إلى ذلك أن معجمها اللغوي تأثر بلغات الجاليات التي كانت  
تستوطن مكة كالحبشية والرومية والفارسية وقد ازداد ذلك في الإسلام<sup>(١)</sup>  
إذ بدأ الناس فيها وفي المدينة والطائف يختلفون من بعض قبود  
الإعراب .

أما لغة الحيرة فقد كانت على مقربة من مواطن الفارسية ومتأثرة  
بها ولا نعرف شيئاً عن قواعدها ونظمها ، ومثلها لغة القبائل العربية التي  
كانت تستوطن مناطق في بلاد الشام إذ كانت متأثرة بالآرامية المحكية  
هناك .

وكانت اللغة المثالية شائعة في الجزيرة العربية من أدناها إلى  
أقصاها ومستأثرة باهتمام العرب جميعاً وكانوا يسمونها هي ولغة البوادي  
"العربية" وقد صاغ بها الشعراء البداء خاصة غير قصائدتهم وكان سهلاً  
على الأعرابي أن يحيط بها لأن لغته نفسها مع التخلص عن عادة يسهل  
تجنبها ، أما عرب الحاضر فكانوا يسلكون إلى تعلمها واحدة من سبيلين :  
أولهما أن يرسلوا أطفالهم إلى البادية ليتشاوروا عليها ويأخذوها من أفواه  
 أصحابها ، والثانية : أن يتعلموها في الكتاب .

<sup>(١)</sup> لباحث : البيان والتبيين ١٩-١٨/١

ولما جاء الإسلام نزل بها القرآن الكريم فزادها قنسية في نفوس العرب وصارت العناية بها استجابة لمؤثرين : أولهما ديني وثانهما في تعدد اللغة في نظر العربي المسلم مجرد متعة فنية في شعر أو في موعظة بل صارت إلى جانب ذلك أساساً لا بد منه في فهم القرآن الكريم والتفوز إلى تعاليمه .

ذكروا أن عمر بن الخطاب مر برجلين يرميان فقال أحدهما للأخر أسيت : فقال عمر : سوء اللحن أشد من سوء الرمي .  
وقيل لعبد الملك بن مروان : أسرع إليك الشيب فقال : - شبيبي ارتقاء المنابر و مخافة اللحن .

إن اللحن وانتشاره بين المتكلمين بالعربية وسريانه في منطلق الكلام وقراءة القرآن كان سبباً من أسباب وضع النحو وتأسيسه ، ويرى بعض المحدثين أن محاولة أبي الأسود الدؤلي في تأسيس النحو العربي وما صنعته من رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط آخر الكلمات فيه كان اقتباساً من السريان وغيرهم ؛ حيث كانت البصرة ملتقى العلماء من الفرس والسريان والهنود . ومحاولات أبي الأسود واقتباس الحركات والنقط في العربية كلاماً بدأ في البصرة وكانت البصرة في ذلك الحين موضع التقاء العرب الفرس والسريان وأهل الهند وكانت لغة العلم والمعرفة في ذلك العصر اللغة السريانية .

وهذا من يذهب إلى أن للمنطق الإغريقي والفلسفة الإغريقية أثراً في صرف العربية ونحوها ، وكان ذلك بفضل اللغويين السريان الذين كانوا على صلة وثيقة بالعرب وأن نظام التتفيط للتفرقة الصوتية بين

---

الحروف المشابهة كان من صنع السريان المشارقة ، وهو النظام الذى  
كان له الآخر الواضح فى التطبيق عند العرب ذلك النظام الذى عنى به أبو  
الأسود الدؤلى حيث قال لكتابه : خذ المصحف وصيغوا يخالف المداد فإذا  
فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف وإذا ضمتها فاجعل النقطة إلى  
جانب الحرف وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله ، فإذا اتبعت شيئاً من  
هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، فابدأ المصحف حتى أتى على آخره .

## دلالات مصطلح اللحن :

ترد لفظة "الحن" في اللغة للدلالة على معانٍ عدّة تذكر منها :

(أ) الغناء وترجيع الصوت وشاهده قوله الشاعر :

وها نفن بشجو بعدما سجعت ورق الحمام بترجمي وإن

باتا على غصن بان في ذرا فن يسرذدان لحوئسا ذات أوان

(ب) التورية والرمز : وهو أن تزيد الشيء فتوري عنه أو ترمز إليه

بقول آخر وشاهد ذلك قوله الشاعر :

ولقد لحت لكم ليكما تفهموا ووحيت وحيلا ليس بالمرتاب

قال الشريف المرتضى : إنه أراد الكناية عن الشيء ، والتعريض  
بنكره ، والعدول عن الإيضاح عنه .

(ج) معنى القول و فهو و شاهد ذلك قوله تعالى : " ولتعرفهم في لحن  
القول " (١) أي معناه .

(د) الغطنة والذكاء : وشاهد ذلك قوله الرسول (ص) : إياكم تختصون إلى  
وتعل بعضكم أن يكون لحن بجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما  
اسمع منه ..

ويؤيد ذلك ما جاء في الرواية الأخرى : فلعل بعضكم أن يكون أبلغ  
من بعض ...

(١) محمد :

وقول الشاعر :

فَلِمَا عَلَى عَسْبِ ذِيلِنْ وَبَانْ  
مُتَعَوِّذ لَحْنٍ يَعِيدُ بَكْفَهُ

(هـ) اللهجة الخاصة : وشاهد قوله الشاعر :

وَقَوْمٌ لَهُمْ لَحْنٌ سُوَى لَحْنِ قَوْمَنَا  
شَكْلٌ - وَبَيْتُ اللَّهِ - سَنَا نَشَاكِلَهُ

وقول أبي سهيدة رداً على البزيدى حين قال : "وليس ملاك الأمر  
إلا طاعة الله برفع "طاعة" على لغة تعميم وكان أبو مهدي حجازياً ينصب  
خبر "ليس" بعد إلا فرد على البزيدى قائلاً :  
"ليس هذا من لحنى ولا من لحن قوماً" أي: ليس هذا من لغتى  
ولا من لغة قومى .

(زـ) الخطأ في اللغة : وشاهد ذلك قوله الشاعر :  
لَيْسَ الْأَمِيرُ أَطْسَاعِنِي فَشَفِيتَهُ  
مِنْ كُلِّ مَنْ يَكْفِيَ الْقَصِيدَ وَيَلْحُنَ

وقول الشاعر :

وَالَّحْنُ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةٌ  
وكان يولع بالتشديد والخطب

وقول الشاعر :

فَرَتْ بِقَدْحِيْ مَعْرُبَ لَمْ يَلْحُنَ

ولعل هذا المعنى وهو الخطأ في اللغة قد ظهر متأخراً عن غيره من المعانى الأخرى حيث لم تظهر الحاجة إليه إلا بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم وتبه العرب إلى شیوع الخطأ في لغتهم العربية .

وعرف أحمد بن فارس اللحن بقوله : فأما اللحن - بسكون الحاء - فبماله الكلام عن جهة الصححة في العربية يقال لحن لحن وهذا عندنا من الكلام لمولد لأن اللحن محدث ، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطبياعهم السليمة .

وعرف الزمخشري أيضاً اللحن بمعنى الخطأ في اللغة حيث قال : لحن في كلامه إذا مال به الإعراب إلى الخطأ .

## مظاهر اللحن والنفور منه

تتخذ اللحن في اللغة مظاهر متمايزين هما :

(أ) الخطأ في الأصوات والصيغة والبنية ويمكن أن نطلق عليه : الخطأ في الصرف .

(ب) الخطأ في الإعراب : ويمكن أن نطلق عليه : الخطأ في النحو .  
فمثلاً الخطأ في بنية الكلمة قول زياد النبطي حين سئل لم أبدع هذه الآثار : أركبها وتند لى بفتح اللام وهو يريد وتند لى بكسرها في العربية .

أما الخطأ في إعراب الكلمات فقد عرف بأخره حيث لم يتتبه له العرب إلا بعد أن فتحوا الأ MCSارات ودانت لهم الأقطار ، واحتلوا بأهالي هذه البلاد المفتوحة اختلاطاً مستمراً في البيوت والأسواق والمتاحف والمساجد ، وتصاهروا ، واندمجوا ، حتى تكون منهم شعب واحد واقتضى كل ذلك أن يستمع بعضهم من بعض ، وأن يتفاهموا في كل ما يتصل بهم ، ولغة التخاطب الوحيدة بينهم في كل ما يحيط بهم في العربية ، فكان لزاماً على غير العربي أن تكون لغته العربية ، مهما عالج في ذلك وعاني ، كما كان لزاماً على العربي أن يترافق بغير العربي ، ويتراث معه في التخاطب لضرورة التعاون بين الطرفين فكل منهم يسمع من الآخر والسمع سبيل المكانت السانانية ، فما اللغة إلا ولادة المحاكاة وما يصل إلى السمع . وبطؤ هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى العربية وتولد من هذا أن تسرب اللحن إلى اللغة العربية .

ومن مظاهر الخطأ في الإعراب : قول الوليد بن عبد الملك لغلامه  
 - وكان بحضرته عمر بن عبد العزيز - يا غلام ادع لي صالح .  
 فقال الغلام : يا صالحًا ، فقال الوليد : ويحك يا غلام ، أنت من  
 صالحك ألا قال عمر : وأنت يا أمير المؤمنين فزد في صالحك ألا <sup>(١)</sup> .  
 وهو يقصد أن صالح في الجملة الأولى مفعول به أما في الجملة  
 الثانية جملة النداء فصالح علم مفرد مبني على الضم .  
 ومن مظاهر إنكار العرب للحن ونفورهم منه :  
 قول الرسول (ص) عندما لحن رجل بحضرته : \* أرشدوا أخاكم  
 فقد ضل <sup>(٢)</sup> " وقول الرسول (ص) : " أنا أ Finch the Arab ، ولدت في قريش  
 ، واسترضعت في بني سعد بن بكر فأنا يأتيك اللحن <sup>(٣)</sup> .  
 وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : " لأن أقرأ فأسقط أحب  
 إلى من أقرأ فألحن <sup>(٤)</sup> .  
 ولقد روى أن أبو موسى الأشعري أرسل إلى عمر بن الخطاب -  
 رضي الله عنه - كتابا وقد بدأه كاتبه أبو الحصين بن أبي الحر العنبرى  
 بقوله : من أبو موسى الأشعري .. فكتب إليه عمر : أن قطع كاتبتك  
 سوطاً <sup>(٥)</sup> .

<sup>(١)</sup> العقد الفريد ٣٠٩/٢ ، البيان والتبيين ١٦٧/٢

<sup>(٢)</sup> كنز العمل : ١٥١/١

<sup>(٣)</sup> المزهر : ٢٤٦/٢

<sup>(٤)</sup> الخصائص : ١٠٨/١

<sup>(٥)</sup> الخصائص : ٨/٢

وسمع أعرابي مؤذنًا يقول : أشهد أن محمدًا رسول الله ينصب  
رسول فقال له وحك : يفعل ماذا ؟ <sup>(١)</sup> .  
ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال : \* سبحان الله ! يلحنون  
ويربحون ، ونحن لا نلحن ولا نربح \* .  
وروى عن مالك بن أنس بن مالك أنه قال : الإعراب على اللسان  
فلا تمنعوا المستنكم حلوها \* .  
وقال عبد الملك بن مروان : \* اللحن في الكلام أقبح من التقطيق في  
الثوب والجدر في الوجه \* .  
وقيل له لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال : شيبيني  
ارتفاع المنابر وتوقع اللحن \* .  
أن جرثومة اللحن قد انتشرت في الحاضرة حتى أصبح الناس  
يعدون اللاحنين وينهون إليهم كما صاروا ينهجون باللحن وينفخون  
ببراعتهم منه وكذلك أخذوا يعدون الفصحاء من لم يتسرّب اللحن إليهم ،  
ولم يظهر في كلامهم حيث يقول الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا  
هزل : الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وأبين القرية  
والحجاج فأصبحهم .  
ومعلوم أن الحجاج كان في الذروة من الخطابة والبيان والفصاحة  
والبلاغة .  
فاللحن هو إملأة الكلام عن وجهة الصحيح في العربية ، واللحن  
يصيب اللغة في الأصوات وعدم نطقها بطريقة صحيحة والصيغة الصرفية

<sup>(١)</sup> عيون الأخبار : ١٥٨/٢

كالوهم في استعمال أحد الأبنية والمقصود غيره ، والتراكيب النحوية وبناء الجملة وما يتصل بالإعراب والخلط في استعمال المفردات وعدم التفريق بين معانيها .

ويعد الخطأ في الإعراب أول مظاهر اللحن في شأنه الأولى ، لذلك يقول أبو الطيب اللغوي : " اعلم أن أول من لخّل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب " .

وقد كان اللحن في المراحل الباكرة من الحياة اللغوية عند العرب بسيطاً ويمكن السيطرة عليه بواسطة التعليم والتلقين والإرشاد إلى الصواب ، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس غير العربية أصبح اللحن أكثر في كلام أهل الحضر ، لذلك يقال إن القراء وقع في لحن يحضره هارون الرشيد فاعتذر عند بيته : إن طباع أهل البر والأعراب وطباع أهل الحضرة فإذا تحفظت لم لأنن ، وإذا رجعت إلى الطبع لاحت .

والوقوع في اللحن بعد من الدوافع الرئيسية في نشأة الدراسات اللغوية عند العرب على وجه العموم وعلم التحو على وجه الخصوص . وإذا كان القمامة يربطون نشأة التحو بحفظ القرآن الكريم من اللحن فإن الدرس اللغوي عند العرب قد نشأ في رحاب الكتاب العزيز لأن العلماء المسلمين توقفوا أمام النص المقدس محاولين فهمه والتوصيل إلى معانٍ شريفة وهذا لا يتأتى لهم إلا بدراسة اللغة الشرفية التي بها نزل ، لذلك وجدنا علوماً لغوية كثيرة نشأت في رحابه متذدة من آياته الكريمة نقطة الانطلاق ومن بينها معرفة معانٍ لفاظه وإعرابه وقراءاته وسواءها من العلوم اللغوية .

## **السبب الاجتماعي :**

ويرجع فساد اللغة العربية في الحاضر إلى الاختلاط بالأمم الأجنبية لأن احتكاك اللغات بعضها ببعض يؤدي إلى تبادل التأثير ، وحيث نستعرض الأمصار الإسلامية في الحجاز والعراق والشام نجد ظاهرة جديدة تدخل حياة العرب في هذين القرنين هي اختلاطهم بالشعوب الأخرى : في السكنى والبيت ، والجيش ، والسوق ، وسائل المرافق العامة والخاصة ففي مكة كان الناس ثلاثة طبقات هي :

- ١- العرب القرشيون ، وهم سادة الناس ، ورعاة الحرم .
- ٢- العرب غير القرشيين وهو الذين كانوا يحالون رجالا من قريش أو يوالئهم ، وفي هؤلاء اليمنى والمضرى .

٣- غير العرب وهم قسمان ، الريفي ورجال المجالس الأجنبية .

أما الرفيق فكان يجلب من أسواق النخاسة ، ومعظم الأرقاء في مكة سود من أفريقيا ، وفيهم البيض الذين يؤسرون في الحرب وتسلل الأخبار على أن عدد هؤلاء كان كبيراً جداً ، فقد ذكروا أن هناك بنت عبد المطلب عنتت في يوم واحد أربعين عبداً .

أما المدينة فقد كان يجاور العرب فيها جماعة من اليهود وهم عبرانيون نزحوا إلى بلاد العرب وأقاموا فيها وبعد أن هاجر إليها الرسول (ص) وفدت إليها العناصر الأجنبية لتعيش بجاوار العرب وهو بين يمنى كالاؤس والخررج ، ومضرى كقرىش .

وكانت العراق منذ الجاهلية موطنًا لأجناس متى فيها الأنبياء وهم في الأصل عرب ، ولكنهم نزحوا إليها من شرق الأردن وكانوا يستعملون

الأرامية في كتاباتهم ويدعون أنهم من الفرس وفيها أيضاً الفرس وفيها عرب العبرة ، ويونان ، وهنود وعبيد من أفريقيا ، وكانت البصرة تجمع قبائل عربية شتى من تميم ، وبكر ، وهذيل ، والأزرد ، وعبد القيس ، وكل منهم يتفرع إلى بطون وأخذاد ويقيم بجوارهم الفرس والتبط والهنود .

أما الكوفة فقد كان العنصر العربي هو المؤسس في بادئ الأمر وقد غلبت عليه القبائل اليمنية ، وعاش بجانبها أخلاق من عرب الشام فيهم المتحضرلون كعرب قريش وفيهم عرب نصارى من بنى تغلب ونجران وقد جاور العرب الفرس واحتكروا بهم في معظم جوانب الحياة .

أما في بلاد الشام فقد كانت بعض القبائل العربية موالية للروم منذ الجاهلية كقبائل عسان ، ولخم ، وجذام ، وقد حاربوا المسلمين في اليرموك بقيادة جبلة بن الأبيهم . اضفت إلى ذلك أن هناك بطنوا من ربيعة ومضر واليمن تتوزع في مناطق متفرقة ، كالجزيرة والرقة وضواحي حلب .

ولما جاء الإسلام ، وفتحت الشام ، استقرت بطون من القبائل الفاتحة في الأقصى والشغور ، ونشئت وحدة القبيلة ، فكان بذلك أزد الشام ، وأزد العراق ، وخثعم الشام وخثعم العراق ، وقيس دمشق وقيس وحمص ، وإلى جانب هذه الأخلال العربية كان الفرس يستوطنون حمص وأنطاكية وبعلبك ، ثم انتقل بعضهم إلى سواحل شامية كعكا وصور .

هذه الأخلال البشرية تجاورت في الأصقاع الإسلامية ، واحتكت لغاتها الكثيرة بعضها ببعض ، فاتسعت الهوة بين اللغات المحكية واللغة المثالية التي تستخدم في العبادة وفي دواعين الدولة ، على أننا نستطيع أن نتصور الوضع اللغوي من خلال ثلاثة لغات كانت أكثر بروزاً في

---

المجتمع آنذاك : اللغة العربية - اللغة الفارسية - اللغة المسريانية ، هذه اللغات الثلاث ، ولغات أخرى غيرها أقل شأنًا منها عاشت في بيئة واحدة هي حواضر العالم الإسلامي ، فلدي ذلك إلى وضع لغوى تتدخل فيه اللغات واللهجات ، وتذوب من كل منها أصالتها وتندو لا هي إلى العربية ولا هي إلى الفارسية ، ولكنها لغة هجينة لا تصلح لغير التخاطب والتعبير عن الحاجات العارضة ، مما أدى إلى اتساع الهوة بين اللغة المحكمة واللغة الفصيحة ، ومثل هذه الهوة تخيف المجتمع حين تكون أسسه قائمة على العقيدة الدينية التي لا تفهم ولا تصارع إلا باللغة المقدسة التي هدلت أصالتها ، وكادت تذوب .

## السبب الدينى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " أعرموا القرآن والتسوا غرائبه " ، ونقلوا عن أبي بكر الصديق قوله ر بما كان في الأصل قولا واحدا الأول قوله : " لأن أقرأ فاسقط خير من أن أقرأ فالحن والثاني : قوله : " لأن أعرب آية من القرآن أحب إلى من أن أحفظ آية " . ونقل عن عمر بن الخطاب في هذا أقوال كثيرة منها قوله لجماعة كانوا يتلون القرآن الكريم : " أقرعوا ولا تلحنوا " قوله : " تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حظه " .

و جاء عن عبد الله بن مسعود أنه قال : " أعرموا القرآن فإنه عربي والله يحب أن يعرب " ، وهذه الدعوات تدل على واقع لغوى عاناه ذو الغيرة على لغة القرآن منذ عصر الرسول (ص) وازداد سوءاً في عهد أصحابه وتبعهم ، وفيما ذكره المؤرخون في حديثهم عن أسباب وضع النحو ما يحمل الظاهر القرآنية نفسها ، فقد تحدثوا عن أمر عربي قدم إلى المدينة يطلب أن يقرأ القرآن فأقرأه بعضهم " إن الله بري من المشركين ورسوله " بكسر اللام عطفاً على المشركين فقال الأعرابي : - إن يكن الله برياناً من رسوله فأننا أبراً منه أيضاً فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأمر ألا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود أن يضع النحو <sup>(١)</sup> .

(١) القططى : أنياء الرواية ١٥/١

- الزجاجي : الإيضاح في علل النحو ٨٩

- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٤/١

## **الطبقات الأولى من النحاة ومراتبهم**

### **(١) نصر بن عاصم الليبي**

وكان فقيها عالماً بالعربية فصيحاً وقال عنه محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ت ١٢٤ : - " إنه ليفلق في العربية تقليقاً " أى يأتي بالعجب .

ويعود الفضل إلى نصر بن عاصم في تغيير ترتيب الأجدية إلى الترتيب المعروف الآن .

إن "أجد" هي أولى الكلمات الست التي جمعت فيها حروف الهجاء عند الساميين وتلك الكلمات الست هي "أجد هوز حطى كلامن سعفص قرشت" وعندما استخدم العرب هذا الترتيب الأجدى وضعوا الحروف العربية التي لم ترد في آخر الترتيب وتجمع تلك الحروف في كلمتين هما تخذ ض睛ع وتسمى الحروف الروداف .

ونشير إلى أن نصر بن عاصم أعاد ترتيب الحروف على أساس شكلي فوضع التاء والثاء إلى جانب الباء ووضع الحاء والخاء إلى جانب الجيم . . . . . وأخبار نصر بن عاصم قليلة وقد أشارت إلى أنه أقام بالبصرة وفيها لقى حتفه سنة ٩٠ هـ .

## ٢ - يحيى بن يعمر

أخذ يحيى التحاو عن أبي الأسود الدؤلي وهو عند بعض العلماء أول من وضع التحاو بعد أبي الأسود ، بل قيل إن أبي الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول زاد في ذلك الكتاب رجل من بنى ليث أبوايا ثم نظر فإذا في كلام العرب مما لا يدخل فيه فأقصر عنه فيمكن أن يكون الرجل الذي من بنى ليث يحيى بن يعمر إذ كان عداته في بنى ليث ، وهو عالم تابعي لقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وروى عنهم الحديث النبوى وروى عنه قتادة بن دعامة المدوسي التابعى وذكر يسوع بن حبيب أن الحجاج قال لـ يحيى بن يعمر أسمعني أحن على المنبر قال الأمير أفضح من ذلك فلأوحى الله تعالى فقال حرقا ، قال: أى ، قال: في القرآن ، قال الحجاج ذلك أشنع له فما هو قال : نقول قل إن كان آباً لكم وأباً لكم ... إلى قوله ..... أحب<sup>(١)</sup> فتقرواها أحب بالرفع والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان قال الحجاج : لا جرم إلا تسمع لى لحننا أبداً فالحقه بخراسان .

وقد كتب يزيد بن المهلب الذى ولى خراسان إلى الحجاج : "إذا لقينا العدو فمخنا الله أكتافهم ، أسرنا طائفة وقتلنا طائفة واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحصصيه وأنداء الأنهاير فلما قرأ الحجاج قال : مال بن المهلب وللهذا الكلام ! حسداً له قيل له إن ابن يعمر هناك . قال : فداك إذا .

<sup>(١)</sup> التوبة : ٢٤

ويحيى بن يعمر فصيح عالم بالغريب وكان يلجأ إلى استعمال  
الغريب اللغظى في حديثه ، وتوفي يحيى سنة ١٢٩ هـ بخراسان .

### ٣- عبد الرحمن بن هرمز

كان يكتن أبي داود ، ويلقب بالأعرج ، وقد تردد هذا اللقب كثيراً في كتب الطبقات والتراجم دون أن يذكر اسمه لأنَّه لشتهِر به ، وأبن هرمز من أعلم الناس بال نحو وأنساب قريش ، وأخذ النحو عن أبي الأسود في البصرة ، ولكنه عاش في المدينة واتصل بالصحابة الكرام ل聆قي القرآن الكريم والحديث الشريف ، فأخذ القراءة عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس ، وأصبح هو نفسه مقرئاً وقرأ عليه الناس ، وتلذذ له نافع بن أبي نعيم ، أشهر مقرئي المدينة وأحد القراء السبعة .

ويروى أنَّ مالك ابن أنس أختلف إلى ابن هرمز عدة سنين في علم لم يبينه في الناس ، فمنهم من قال تردد إلى لطلب النحو وللغة قبل إظهارهما ، وقيل كان ذلك من علم أصول الدين « وما يرد به مقالة أهل الزبغ والصلة » ، وقال أهل العلم عن أبي هريرة : أنه أول من وضع علم العربية والسبب في هذا القول أنه أخذ عن أبي الأسود الدولي ، وأظهر هذا العلم بالمدينة وهو أول من أظهره وتكلم فيه في المدينة وكان من أعلم الناس بال نحو وأنساب قريش ، وما أخذ أهل المدينة إلا منه ولا نقلوه إلا عنه ، وقد ذكر الرواة أنَّ أبي هرمز مات في الإسكندرية سنة ١١٧ هـ على الرغم من أنه عاش في المدينة .

#### **٤ - عنبرة الفيل**

هو عنبرة بن معدان ، وكان معدان رجلاً من أهل ميسان (أقلheim واسع بين البصرة وكوفة) قدم البصرة وأقام بها وكان يقال له معدان الفيل وقد روى ياقوت في معجم الأدباء "سبب تسميته بمعدان الفيل فقال : كانت لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم أقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال : ادفعوها إلى وأكفيكم المؤونة فأعطيكم عشرة دراهم كل يوم . فدفعوها إليه فأراني وأتين قسراً ونشأ ابن يقال له عنبرة وفروي الأشعار وفتح ، وروي شعر جرير والفرزدق وانتهى إلى بنى أبي بكر بن كلاب ، وبعد عنبرة الفيل واحداً من أربعة تلاميذ أبي الأسود على حد تعبير أبي عبيدة الذي قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود يعلمون منه العربية فكان أربع أصحابه عنبرة .

#### **٥ - ميمون الأقرن**

تشير كتب الطبقات والتراجم إلى أن ميمون الأقرن رأس النحويين بعد عنبرة الفيل وكانت له حلقة نحوية وقد تخرج فيها ابن أبي اسحاق الحضرمي .

## عبد الله بن أبي اسحاق

بعد عبد الله بن أبي أسحاق مولى آل الحضرمي (ت ١١٧هـ) أول نحوى تربط كتب الطبقات والتراجم بيته وبين القياس ، ومن الروايات المتداولة بكثرة فى تلك الكتب دون اختلاف بينها قولها : أنه أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ، ويمكن التوصل من تلك الرواية إلى ثلاثة أمور بعد عبد الله بن أبي اسحاق رائدًا فيها هي :

- ١- أنه أول من بعج النحو أى فتقه وشقه ، والمقصود بذلك أنه أحد الرواد الأوائل الذين أنوا بعد مرحلة نشأة النحو ، وكانت لهم بعض الآراء والاجتهادات التى استحسنها معاصره بالإضافة إلى توافقه أمام بعض الشواهد بالنقض والتحليل ، والدليل على ذلك ما كان بيته وبين الفرزدق، وكثرة تعرضه للفرزدق لو روى بعض الشواهد النحوية فى شعره .
- ٢- أنه أول من مد القياس إذ زاد فيه ، ويمكن أن نتوصل من تلك الرواية إلى أن ابن أبي أسحاق لم يبتكر القياس أو يبتدعه ، وإنما هو من الأمور التى كانت تطبع الحياة الفكرية عند الأوائل من العلماء المسلمين ولم يكن وقفاً على النحو والنحواء بل إنهم استغلوه من أصول الفقه ، إنه أول من شرح العلل أى بسطها ووسعها والمقصود بذلك أن ابن أبي أسحاق له الفضل فى التوسيع فى استخدام العلة والإكثار من التعليل ولم يكن المبتكر للعلة النحوية على وجه العموم . ونقول بعض الروايات عن ابن أبي أسحاق أيضًا أنه كان أشد تجريداً للقياس ويفيد فى فهم تلك الرواية التعرف على معنى " التجريد "

ولكن ما المقصود بالقياس الذى زاد ابن أبي اسحاق فى استخدامه وتوسيع  
فى استعماله ؟

المقصود بالقياس عنده اطراد القواعد التحوية وعدم وجود شذوذ  
فى الاستعمال داخل أى نص من النصوص اللغوية ، وقد دفعه تمسكه  
بالقياس إلى تحطئة الشعراء الذين كانت لديهم بعض الكلمات التى خرجت  
عن الإعراب الصحيح من وجهه ، نظرة ونقم بعض الأمثلة من انتقاداته  
الأعرابية للفرزدق - لقد سمعه ينشد :

وغض زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف .  
فرد عليه الرفع لكلمة " مجلف " لأن القياس التحوى يستوجب  
نصبها عطفا على " محسنا " ، وتشير كتب الطبقات والتراجم إلى أن ابن  
أبي اسحاق سأله الفرزدق : علام رفعت " أو مجلف " ؟

فقال الفرزدق : على ما يسموك وينوعك ، علينا أن نقول وعلكيم  
أن تتأنلوا ، والذى يلفت النظر أن النحاة استجابوا لدعوة الفرزدق وقدموا  
أربعة تخريجات لهذا الرفع لكلمة " مجلف " جاءت على النحو الآتى :  
١- أن قول " مجلف " مبتدأ حرف خبره وتقدير الكلام أو مجلف كذلك .  
٢- قوله " مجلف " فاعل لفاعل محدود دل عليه سابق الكلام ، والتقدير و  
بقى مجلف لأن قوله " لم يدع إلا مسحتا " معناه بقى مسحت .  
٣- قوله " مجلف " معطوف على قوله " عض " فى أول البيت وهو  
مصدر ميمى بمعنى " التجليف " وليس اسم مفعول وتقدير الكلام :  
وغض زمان وتجليفه لم يدع من المال إلا مسحتا .

٤ - أن قوله "مسحتاً" اسم مفعول منصوب على أنه مفعول به لقوله "لم يدع" وفيه ضمير مستتر نائب فاعل أي مسحتما هو .

وقوله "أو مجلف" معطوف على الضمير المستتر في "مسحتا" .

يقول الفرزدق في مدح عبد الملك بن مروان :

مستقبلين شمال الشام تضررنا بعاصب كنديفقطن منتشر

على عاتمنا يلقى وأرجاننا على زواحف تزجرا مغهارير

وقد اختلف الرواة في سنة وفاة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ذكرروا أنه مات سنة تسع وعشرين وستة أو سنة سبع عشرة وستة ، وهو في الثامنة والثمانين من عمره .

ويرجح الرواة أنه مات سنة ١١٧هـ ، ويجمعون على أنه عمر ثمانية وثمانين سنة ، وهذا يعني أنه ولد سنة تسع وعشرين للهجرة ، وأنه كان في الأربعين يوم مات أبو الأسود الدؤلي ، وعلى الرغم من هذا لا يذكرون له من تلاميذ أبي الأسود ، ويزعمون أنه أخذ النحو عن ميمون الأقرن ، وأخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم ، وأنه أخذ عن أبي حرب بن أبي الأسود .

وقد كان الحضرمي كثير التصدي للفرزدق والتعریض بأخطائه حتى أغضبه وحمله على هجائه - قال له يوماً على أي شيء رفعت " مجلف" في قولك :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المتن والهوجل المتعسف

وتنصى زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلفت  
فقال له الفرزدق : على ما يسعك وينفعك علينا أن نقول وعليكم  
أن تتألوا .

وقد كانت حلقة اللغوية في المسجد الجامع إلى جانب حلقة المحدث  
محمد بن سيرين ، وكان ابن سيرين يكره النحاء ، ويقول : لقد بغض إلينا  
هؤلاء المسجد وبلغ ابن اسحاق أنه يعيي عليه تفسير الشعر ويقول ما  
علمه بزرادة الشعر ؟ فقال ابن أبي اسحاق : إن الفتوى في الشعر لا تحل  
حراما ولا تحرم حلالا وإنما نفتي فيما استتر من معانى الشعر وأشكال من  
غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا .

أو اجتهدنا فيها آراعنا فإن زللتنا أو عثرنا فليسزال في ذلك  
كالزال في تعبير الروايا ، ولا العترة فيها كالعترة في الخروج مما أجمع  
عليه الأئمة من سنة الوضوء ، وكرهته الجماعة من الاعتداء في الطهور  
فيبلغ ذلك ابن سيرين فأقصر مما كان من الإفراط في الوضوء وكان إذا  
جاءه الرجل يسألة عن الروايا قال : هات حتى أظن لك وكان ابن أبي  
اسحاق - بعد أن بلغه كلام ابن سيرين - يقول : أظن الشاعر أراد كذا  
واللغة توجب كذا<sup>(١)</sup> .

وللحضري في تاريخ النحو العربي أهمية كبيرة لا أنه بلغ به  
مرحلة النضج والكمال بل لأنه أول من وضع فيه أصولاً يمكن أن توسر  
لمن يجيء بعده أن يبلغ هذه المرحلة ، فهو أول نحوى حاول أن يستخدم  
الرأى في دراسة اللغة بعد أن كانت قائمة على الأثر والرواية ، وهو فى

(١) القبطى : انباء الرواية على انباء النحاء ١٠٦/٢

---

هذا متأثر بما دخل الفقه الإسلامي من استخدام الاجتهاد والرأي في الفتوى وتحليل النصوص المنقولة وتلويتها .

أما مصادر نحوه فمتواتعة أولها : ما وفر في أذهان القدماء من الطبعات عنه وثانيهما : ما نقله عنه النحاة من نصوص وآراء كالذى نجده فى كتاب سيبوية ومحاز أبي عبيده . والثالث ما تحمله قراءاته القرآنية من أوجه نحوية ولغوية .

## عيسى بن عمر النقفي

هو مولى خالد بن الوليد المخزومي ، نزل في تقيف ، وأخذ عن ابن أبي اسحاق وقد توفي عيسى سنة ٤٩هـ ، وتشير كتب الطبقات والترجم إلى أن عيسى صنف كتابين في النحو هما "الجامع" "والإكمال" وفيهما يقول الخليل بن أحمد وكان الخليل قد أخذ عنه : ذهب النحو جمعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذلك إكمال ، وهذا جامع فهمًا للناس شمس وقمر

ولكن هذين الكتابين مفقودان ، وإن كان المبرد (ت ٢٨٥هـ) قد أشار إلى أنه قرأ أوراقاً منهما في حين أن السيرافي ت ٣٦٨هـ يقول "لم يقع إلينا ، ولا رأينا أحداً ذكر أنه رآهما".

ويعد عيسى بن عمر واحداً من النحاة الأوائل الذين اهتموا بسماع المادة اللغوية وأخذها عن مصدرها المباشر ، لأنه اتصل بالأعراب الذين اختلفوا إلى البصرة وزرلوها إلى سوق المريد وكان يسألهم ويروى عنهم ما سمعه ، لذلك أخذ عنه جيل من كبار علماء اللغة والنحو الكثير من الروايات والشاهد ، لأنه مصدر ثقة ، ولأنه لم يكن ليروى إلا ما سمع ؛ ومن أمثلة ذلك ما حكاه سيبويه عنه من استعمال بعض العرب لـ "إبن"

ويعد عيسى بن عمر واحداً من أهم تلاميذ ابن أبي اسحاق وقد تأثر به في استخدام القياس الذي يعني اطراد القاعدة التحوية ، وعدم وجود أي

شذوذ في الاستعمال ، لذلك لجأ إلى تخطئه بعض الشعراء من الذين عاشوا  
في العصر الجاهلي مثل النابغة الذبياني فقد عاب عليه رفع كلمة "نافع"  
في قوله :

فبت كأنى ساورتني ضئيلة من الرقش في انبابها السم نافع

ويرى أن حقها التنصب على الحال كما في الجملتين : هذا أول  
فارس مقبلًا وهذا رجلًا منطلقا ، وتعليق ذلك عنده أن الجملة الأسمية  
الواقعة قبل الحال قد استوفت ركتيبيا وتم الإسناد قبلها .

ولستطاع عيسى بن عمر التوسيع في استعمال القياس في جمل  
تركيب نحو على آخر ، أى أنه قياس ينظر في الاستخدام اللغوي ويعطى  
مع التطبيق في الشواهد المختلفة ومن أمثلة ذلك ما نجد في تعليق سيبويه  
على قول الأحوص :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

قال سيبويه وكان عيسى بن عمر يقول : يا مطرًا ، يشبهه بقوله يا  
رجلًا ، يجعله إذا نون وطال كالنكرة ولم نسمع عربيًا يقول وله وجه ن  
القياس إذا نون وطال كالنكرة<sup>(١)</sup> .  
ويقترب القياس عند عيسى بن عمر بالتأويل الذي يتيح عطف  
المفرد على موضع الجملة ، ومن أمثلة ذلك الخلاف الذي يتصل بقول  
الفرزدق :

<sup>(١)</sup> الكتاب : ١٢٩/١

ألم ترني عاهدت ربى وأنتى لين رتساج قائمًا ومقام  
على حلقه لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجا منى زور كلام  
حول إعراب "خارجًا" وقبل أن نبين رأى عيسى نشير إلى أن  
الذى عليه المحققون ان خارجا مفعول مطلق ، والأصل : لا يخرج خروجًا  
ثم حذف الفعل وأناب الوصف عن المصدر ، لأن المراد أنه حلف بين باب  
الكعبة المشرفة وبين مقام إبراهيم عليه السلام أنه لا يشتم مسلماً في  
المستقبل .

وهناك بعض الأمور التي تقيد في التعرف على حياة عيسى بن  
عمر والوقف على تفكيره النحوى ومن بينها ما يأتي :

- ١) حرص عيسى بن عمر على ربط الإعراب بالدلالة أو المعنى ،  
وتجاوز ذلك إلى القراءات القرآنية ، ومن أمثلة ذلك قراءة النصب لـ  
"حملة" في قوله تعالى : وامرأته حمالة الحطب<sup>(١)</sup> ، قال أبو عبيدة :  
وكان عيسى يقول حمالة الحطب : نصب يقول هو ذم لها أى أن حمالة  
مفهول به لفعل محنوف والتقدير : ألم حمالة الحطب .
- ٢) يعد عيسى بن عمر من أوائل نحاة البصرة الذين رحلوا إلى بغداد  
والدليل على ذلك الرواية التي تقول إن الحسن بن شبيب الطائي (ت  
١٤٨١هـ) . قائد المنصور قد جمع بينه وبين الكسائي في بعض  
مجالسه<sup>(٢)</sup> .

<sup>(١)</sup> المسند ٤

<sup>(٢)</sup> الزجاجي : مجالس العلماء ص ١٤٨

٣) اهتم عيسى بن عمر بالإشارة إلى اللغات التي خرجت عن القواسم أى الأطراط في الاستعمال ، والدليل على ذلك ما قاله القدماء من أنه حرص في وضع كتابه "الجامع" على الأكثر في الاستعمال ، وسمى ما شذ عن الأكثر "لغات" .

٤) اعتمد سيبويه على عيسى بن عمر في بعض رواية بعض الآيات التي احتوت على لهجات القبائل حين إنشاد الشعر ، وبين تخريجها النحوى ، ولم يردها ، ويعود السبب في ذلك إلى أن عيسى سمعها عن بعض العرب والمماع من الأصول وأدلة يجب الاعتماد عليها والأخذ بها .

٥) اهتم عيسى بن عمر بالقراءات القرآنية وهو يعد واحداً من مقرئي البصرة في زمانه ، وكان يختار في قراءته على قياس العربية على نحو ما كان يفعل أستاذه ابن محيصن ، ولكن هذا الاختيار لم يلق قبولاً من الناس ، لذلك لم يبلغ عيسى في القراءة مبلغ معاصره أبي عمرو ابن العلاء ولا مبلغ إمام النحاة الكوفة الكسائي الذي انحدر إلى البصرة ، وكان عيسى بن عمر يتعلّم القراءات في ضوء أقیسه النحو .

أبو عمرو بن العلاء

وهو العلم المشهور في علم القراءة ، واللغة ، والعربية ، وكان من الشأن بمكان وقد اختلفوا في اسمه اختلافاً كبيراً حتى لقد أطلقوا عليه بعض المراجع واحداً وعشرين اسماً وجعل كنيته هي اسمه .  
وقالوا أيضاً ابن اسمه زيان وتوفي أبو عمرو سنة ١٥٤ هـ في خلافة المنصور ، وقد أخذ أبو عمرو النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري ، والخليل بن أحمد ، وأبو محمد بحبيبي ابن المبارك البزريدي ، وأبو عمرو ثقة فيما يرونه ، لأنَّه كان يهتم بالتدقيق للتوصل إلى الضبط الصحيح لبعض الكلمات ، وكان يعتمد في ذلك على السماع من الأعراب وكان بعض اللغويين يسأل أبو عمرو عما يتصل باللألفاظ واستئقادها ولم يكن ليجيب إلا عن علم وبنته ، والدليل على ذلك أنه سُئل عن استئقاد الخيل ، فلم يُعرف قمر أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال له أبو عمرو : يعني فإذا أطْفَلْتَ بِسْوَالَهُ وَأَعْرَفْتَ ، فَسَأَلَهُ ، فقال الأعرابي استئقاد الاسم من فعل المسمى ، فلم يُعرف من حضر ما أراد الأعرابي فسألوا أبو عمرو عن ذلك فقال : " ذهبت إلى الخيالات التي في الخيول والعجب لا تراها تمشي العرضنة خيلاً وتكبراً .  
وكان أبو عمرو بن العلاء من المتشددين في القياس ، المهتمين بالاطراد في القاعدة ، والدليل على ذلك أن بعض معاصريه قال له :

\* أخبرنى عما وضعت مما سميته عربية : أدخل فيها كلام العرب كله فقال : لا فقال له كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفك لغات \*<sup>(١)</sup> .  
وخاض أبو عمر في التعليل واهتم بالاستقراء على الرغم من أنه يعلم أن النصوص التي يستقرى بها لا تمثل لغة العرب كلها .  
وكان أبو عمر يعتمد على السماع حين يتحدث عن ضبط بعض الكلمات أو يسأل أحد ، وقد ساعده السماع وحفظ الشواهد الشعرية على إطلاق بعض الأحكام المعيارية على اللهجات .  
وكان يدرك الفروق اللغوية بين لهجات القبائل العربية وما بينها من تفاوت ، ولأبي عمرو بن العلاء بعض الجهود في مجال توضيح دلالة الأنفاظ وبيان الفروق الدقيقة بين المعانى وكان يفعل ذلك مع كبار معاصريه سواء أكثروا من اللغويين أم من غيرهم .

### يونس بن حبيب

وهو من أكبر النحاة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وسمع من العرب كما سمع من قبله وأخذ عنه سيبويه وحكى عنه في كتابه وأخذ عنه الكسائي وجلس إليه في حلقة أبو زكريا الفراء بعد أن أحاط بعلم الكوفة ومن المعروف أن الكسائي والفراء هما مؤسساً مدرسة الكوفة .  
وقد حكى بعض العلماء عن الفوائد اللغوية والنحوية التي استطاعوا التوصل إليها خلال حضورهم حلقة يونس ، ومن أولئك الفراء الذي استمع

<sup>(١)</sup> ابن جنی : الخصائص : ٢٤٩/١

إلى كلام الأعراب ، وتوصل في صوته إلى بعض الملاحظات ذات الصلة  
بالأداء اللغوي .

وخاص يونس بن حبيب في تفسير الغريب للقطنى وبيان معانى  
المفردات مع الاستشهاد عليها بأبيات من الشعر ، فقد حكى أبو عمر  
الجرمى قال : رأيت يونس النحوى من حلقة المسجد فقام إليه رجل يسأله  
عن قوله تعالى : " وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاوِشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ " <sup>(١)</sup> . فقال بيده  
التناوش التناول وأنشد قول الشاعر :  
فهي تناوش الحوض نوشًا من علا نوشًا به تقطع أجواز الغلا

استطاع يونس بن حبيب الإلقاء من معرفته بأصول بعض الكلمات  
وزنها الصرفى في أبواب النحو خاصة أبواب الممنوع من الصرف  
وتوقف يونس أمام بعض أبواب علم الصرف وما يندرج تحتها من القضايا  
وأصدر عليها بعض الأحكام المعيارية ، ومن أمثلة ذلك أنه لا يجوز النسب  
إلى ما كان على وزن " فعلية " ، " فعلية " إلا بحذف الياء ، ولذلك لم يقبل  
أن يقال في حنيفة : حنيفي وفي سالية : سليمي ، واهتم يونس بن حبيب  
بتحليل التراكيب النحوية التي وردت عن العرب مع بيان أصولها المقدرة .  
ويونس بن حبيب كان يميل إلى التقدير كغيره من النحاة وأن العامل  
ينصب وإن كان مقدراً . ومن الجمل التي ي بيان يونس أهلها قول العرب :  
عائذ بالله ، والتقدير : أنا عائذ بالله ، أى إن " عائد" خير لمبتدأ محذوف

---

<sup>(١)</sup> سيا : ٥٢

وأشارت كتب الطبقات والترجم إلى أن يونس له كتاب في اللغات ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا .

وقد اهتم يونس بالتجيئ الأعرابي البعض آى الذكر الحكيم ، ومن ذلك قوله تعالى : " وأسرروا النجوى الذين ظلموا " <sup>(١)</sup> الذي أثار جدلاً بين علماء النحو خاصة حين حملته قلة منهم على لهجة : " أكلوني للبراغيث " آى تلك اللهجة التي تضع في الفعل علامة تدل على أن الفاعل مثى أو جمع ف فقال ذهبا الرجال - ذهبا الرجال - ذهبن النساء ، وأشاروا إلى أن الواو في " أسرروا " علامة على أن الفاعل جمع ، ولكن يونس أعراب الدين بدلًا من واو الجماعة ، ومثل لذلك بجوار يجري بين شخصين على النحو التالي :

الأول : انطلقوا .

الثاني : من ؟

الأول : بنوفلان .

التقدير : انطلقوا بنوفلان

لذلك بنوا يدل من واو الجماعة في " انطلقوا " .

واجتهد يونس في توجيه إعراب بعض الآيات الكريمة ولكن بعض النحاة لم يأخذ به ومن ذلك قوله تعالى : " ثم لننزعن من كل شيعة ليعهم أشد على الرحمن عنيا " <sup>(٢)</sup> إذ يرى أن الفعل " تنزع " ملغى ، " وأى " مرفوع بالإبتداء ، وأشد خبره كما يقال : قد علمت ليهم عندك ؟ ولكن

<sup>(١)</sup> الأنبياء : ٣

<sup>(٢)</sup> مريم : ٦٩

سيبويه لم يأخذ برأى يونس ، وحكم عليه بأنه غلط لأنه لا يجوز أن يلغى إلا أفعال الشك واليقين نحو ظننت وعلمت ، وقد اعتمد سيبويه على يونس بن حبيب في الأخذ ببعض القراءات القرآنية قال : "وسمعنا بعض العرب يقول : "الحمد لله رب العالمين " فسألت عنها يونس بن حبيب فزعم أنها عربية <sup>(١)</sup> .

و "رب" منصوب على المدح فهو مفعول به لفعل محنوف تقديره : أمدح رب العالمين وهي قراءة زيد بن علي .

---

<sup>(١)</sup> الكتاب : ٤٠٠ / ٢

## **الخليل بن أحمد الفراهيدى**

هو الخليل بن أحمد الفراهيدى وقيل الفرهودى وقد ذكر المرزبانى أنه لم يجد في نسبه زيادة على اسم أبيه ، غير أن القسطى<sup>(١)</sup> أضاف بعد اسم أبيه " عبد الرحمن " فقال :

" الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن " وذكر ابن خلكان وياقوت شيئاً آخر فقالا هو الخليل بن عبد الرحمن بن عمر بن تميم "<sup>(٢)</sup> .

أما بالنسبة فينتهي إلى قبيلة عربية من اليمن ، هي الأزرد ، ويختلف الرواة في تحديد الفرع الذي ينتمي إليه الخليل ، فذهب بعضهم إلى أن الفراهيد بن مالك بن فهم ، ورأى آخرون أنه فرهد بن شباة بن مالك بن فهم .

وليس من المبالغة إن نقول أن الخليل بن أحمد الفراهيدى هو صاحب الفضل الأول في إقرار علم النحو ووثبته أركانه وترسيخ أصوله واستبطاط كثير من أحكامه وأفiste وعلمه .

ولم يكن الخليل يحوى لمولد ولكنه انحدر إليها من قرية عمانية ويبعد أنه كان في مرحلة من العمر تهبه له أن يكون ذا عقيدة وانتقام ديني فقد نقلوا عنه أنه قال : " قدمت من عمان ورأيسي رأى الصفرية فجلست إلى أليوب بن أبي تميمة السختياني فسمعته يقول ..... ولقد اتفق مؤرخون على أنه ولد سنة ١٠٠ هـ ولكنهم اختلفوا في تحديد متنة وفاته ،

<sup>(١)</sup> القسطى : إحياء الرواية على أبناء النساء ٣٤١/١

<sup>(٢)</sup> ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥/٢

- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ٧٧/١١

فذكروا أنه توفي سنة سبعين ومتة ، وهذا أصح الأقوال . وقيل توفي سنة سبع وسبعين ومتة ، وقيل سنة خمس وسبعين ومتة وقيل سنة ستين ومتة، وقيل سنة ثلاثة ومتة وهذا أضعف الأقوال <sup>(١)</sup> .

ونذكروا في سبب موته أنه قال أريد أن أقرب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يمكنه ظلمها ودخل المسجد وهو عمل فكره في ذلك قصد منه سيارة وهو غافل عنها بفكرة ، فانقلب على ظهره وكانت سبب موته ، وقيل بل كان يقطع بحراً من العروض وإذا صاح أحدهما كان الخليل أول ثلاثة قضى عليهم العلم وهم الخليل والجاحظ وأبو جعفر النحاس .

وعلى الرغم من زهد الخليل في المال والسلطان ذراه يترك البصرة إلى بغداد حيناً ، فيلتقي بالخليفة المهدى والى خراسان طوراً فينقطع إلى الليث بن رافع ويقصد الأهازيز إلى سليمان بن علي .

اما زيارته لبغداد فقد حدثنا عنها التاريخ حديثاً عامضاً إذ ساق على لسان الخليل قوله : «بعث إلى المهدى فأنتهى وهو جالس في الماء على سرير له إلى صدره فسلمت عليه فقال لي إني اشتاهيت الحديث الساعة فعدتني ...

وكان الخليل زاهداً ورعاً ، عقا ، رضى من زمانه بالقلة والضيق وقصد عن السلطان والمال حتى قيل عنه : أكلت الدنيا كلها بعلمه وكتبه وهو في خص لا يشعر به أحد <sup>(١)</sup> .

(١) القطلى : انتهاء الرواية على أنتهاء النهاية ٣٤١/١

الزبيدي : طبقات التحويين والتغويين ص ٥١

وتتبدى أخلاقة السمحاء في بعض أقواله المأثورة منها قوله : أربع  
تعرف بين الآخرة : الصفح قبل الاستقامة ، وقديم حسن الظن قبل التهمة  
، والبذل قبل المسألة ، ومخرج العذر قبل العتب ، وكان الخليل بن أحمد  
ذكريا جدا حتى نعت بأنه آندي العرب بعد الصحابة <sup>(١)</sup> .

ولقد اتى للخليل بن أحمد أن يقلب في بيته علمية غنية إذ عاصر  
الفقيه الكبير أبي حنيفة وهو رأس مدرسة الرأي والقياس في تاريخ الفقه  
الإسلامي ، وعاصر الخليل من النحاة الحضرمي وعيسى وأبا عمرو ،  
وعاصر من قراء القرآن وشيوخه عاصم بن أبي النجود الكوفي وعبد الله  
ابن كثير المكي ، ولقي أعراب البادية الفصحاء في المربد وفي مساكنهم  
ببواقي الحجاز ونجد وتهامة .

وتنتفق المصادر على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أخذ عن أبي  
عمرو بن العلاء وهناك أدلة على ذلك أولها ما جاء في بعض الكتب  
التاريخية وثانيها أن سببوبة أثبتت هذا صراحة في كتابه والدليل الثالث أن  
أبا عمرو كان شيخ البصرة وعالماها يوم أن كان الخليل في سن الطلب فمن  
غير المعقول أن لا تدفعه الرغبة إلى الحضور في حلقاته والأخذ عنه ،  
صحيح أن الخليل فاق أبا عمرو في علم النحو ولكن ليس من الضروري  
أن يكون كل ما أخذته عنه نحوا فربما كان يحضر حلقاته للرواية واللغة  
والقراءة ومعانى القرآن إلى جانب النحو .

<sup>(١)</sup> دزهه الآثار : ٤٨

<sup>(٢)</sup> القسطلاني : أئمـة الرواية على أئمـة النـحـاة ٣٤٥/٦

ولم يكن الخليل مجرد تلميذ يكتفى بما يسمعه في حلقات الدرس بل أوثقى من نفاذ الذكاء وعمق النظرة ما ساعده على الاستنباط واستخراج الأقيمة ولذلك كان ينهال من منبع العربية الأصيل وهو البادية ، ويجد فيه المصدر الأساسي لعلومه ، فقد سأله الكسائي : من أين أخذت علمك هذا فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة .

وقد ذكر المؤرخون بعض الأعراط الذين اتصل بهم وأخذ عنهم وهم أبو مهدية ، وأبو طفيلة ، وأبو البداء ، وأبو خيره ، وأبو مالك ، وأبو الدقيش ، كما نقلت عنه كتب اللغة روايات كثيرة عن الأعراط ، وحسوى كتاب " العين " لغات اليمن ، وتعيم ، وطئ ، وعقل ، وهذيل ، ولعل قيمة الخليل العلمية تتجلى بأوضح صورها فيما اخترعه في حقول العلوم اللغوية والأدبية ، وربما كان العروض أبرز هذه الاختراعات فقد استتبعه من العروض وعلمه ما لم يستخرجه أحد ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم .

والاختراع الثاني جمعه ألفاظ اللغة كلها في معجم واحد بطريقة رياضية صوتية ، وكتابه " العين " أول معجم لغوی في تاريخ اللغة العربية ، كما أن دراسته للأصوات جديدة إذ حدد مخارج الحروف وصفاتها من الجهر والهمس والرخاوة .

كما استتبعه من علم النحو ما لم يسبقه إليه أحد ولا سيما في العلل والأقيمة .

وهناك بعض المصطلحات اللغوية التي اخترعها الخليل بن أحمد ففي العروض استخدم المس McBب والتند والعروض والضرب والعلل

والزحافات والقبض والصدر والعجز والطويل والمنسج والبساط والواقر والكامل والقافية والتأسيس والردف والروى ، ولعله هو الذى اصطلح في علم اللغة على الجهر والهمس والمخرج ، وربما كان أول من أطلق على القرينة النطقية التي يصاحبها حركة إعرابية خاصة مصطلح "العامل" ونقلوا عنه قوله "أنا أول من سمي الأوعية ظروفاً" .

وكما كان تنويع علوم الخليل سبباً في كثرة شيوخة كان أيضاً سبباً في كثرة تلامذته فهم بين طالب نحو وطالب لغة وطالب قراءة ، وكانت حلقاته من أضخم حلقات العلم في مسجد البصرة الكبير ولا شك أن أعظم تلامذته وأكثرهم شهرة سيوية فهو صاحب الكتاب المشهور الذي استأثر به الخليل فلا تمر بباب من أبوابه النحوية والصرفية إلا وللخليل فيه رأى أو أكثر من رأى .

ومن تلامذته المشهورين : الأصمى والنضر بن شمبل وموزج السدوسي وعلى بن نصر الجهمي ، وعبينه بن عبد الرحمن الماهلي ، والوليد بن محمد وبكار بن عبد الله ، وألم بحلقه الكسائي ويحيى بن المبارك التحریدي ويبعدوا أن التاريخ لم يستطع أن يحط بكل المؤلفات التي تركها نحاة هذا العصر ولغويوه لأن كثيراً منها ضائع لم ينتشر في الناس يبدو أيضاً أن كثيراً منها اختلط على المؤرخين فتدخل بعضها في بعض ولم يستطيعوا أن يفرقوا بينهم فرقاً صحيحاً .

والذى قاله المؤرخون عن كتب الخليل لا يخلو من اضطراب أما ما ذكروا له منها فهو :

كتاب العوامل ، كتاب الشواهد ، كتاب الجمل ، كتاب العين ، كتاب معانى الحروف ، النغم والنقط ، والشكل ، والعروض ، وكتاب في التوحيد أو في علم الكلام .

وليس من المبالغة أن يذهب باحث إلى أن الخليل أعظم نحوى حملته أرض العراق ، بل أعظم نحوى على مدى المصور ، فقد فتن به القدماء وضرروا به الأمثال ، وذكروا أن الإجماع متعدد على أنه لم يكن أحد أعلم بال نحو منه .

والحق أن سيبويه انتاً في معظم الأبواب على علم الخليل بل كان في كثير من الأحيان يكتفى بقوله : وسألته ، أو قال ، أو قلت له ، من غير أن يصرح باسمه .

وتتضح قيمة الخليل بن أحمد الفراهيدي في تاريخ النحو العربي في أنه أكمل الأسس التي وضعها النحاة منذ أبي الأسود الدؤلي حتى أيامه ، فهم الذين قاموا بعملية الاستقراء ووضع الأصول واستبطاط النظم اللغوية ، حتى إذا جاءه نظر فيما جموعه حاول أن يكمل استقراءهم ويعمق أصولهم ويفسر النظم تفسيراً يقوم على ربط الظواهر بعضها ببعض والنظر إلى اللغة على أنها صرح محكم البنية منطقى التركيب .

ولعل الخليل بن أحمد أول من شقق القول في تحليل التركيب الذى تقع فيه "لاسيما" وتاؤل اختلاف المتكلمين فى إعراب الاسم الذى يباشرها قال سيبويه : "وسألت الخليل بن أحمد رحمة الله عن قول العرب : ولا سيما زيد ، فزعم أنه مثل قوله : ولا مثل زيد و "ما" لغو وقال : ولا سيما زيد كقولهم دع ما زيد وكقوله مثلاً : "ما بعوضة فـ" فى هذا

الموضع بمنزلة "مثل" ومن ثم عملت فيه لا "كما تعلم رب في " مثل " (١)

وحدثت الخليل عن العامل لا يعدو أن يكون تفسيرا للظاهرة الإعرابية في لغة العرب ، وتحليلاً للعلاقات اللفظية والمعنوية في التركيب ، ونراه أحياناً يستعين بالمعنى الوظيفي لتفسير العمل كما فعل في جزم جواب الطلب فهو يرى أن التعبير بالأمر والمعنى والسؤال وجميع ألوان الطلب تحمل معنى "أن" .

ومن رأيه في العمل النحوى أن الكلمات المبتدئة بنيت لإبهامها وضعف تصرفها في التركيب ، غير أن بعضها أخذ سمت الكلمات المعرفة فتصير وتتحول إلى معرف في بعض العبارات فأثرت فيه العوامل ، وإذا كان القول بالعامل تفسيراً للظواهر الإعرابية فإن نظرية الخليل أحياناً إلى علاقات الكلم بعضها بعض تبدو دقيقة عميقه ، وفي تفسيره للظاهرة الإعرابية كثيراً ما يلجأ إلى القياس فهو مثلاً يقرن "إنما" إلى "أرى" في الإهمال يقول : "إنما لا تعلم فيما بعدها كما أن أرى إذا كانت لغوا لم تعلم فجعلوا هذه نظيرها من الفعل كما كان نظير "إن" من الفعل ما يعلم (٢) .

وللخليل موقف من الاحتجاج بالقراءات القرآنية يتسم بالأكمة والموضوعية فهو لم يطعن فيها ، بل كان يلتمس لها وجهاً ويحتاج بها في بعض الأحيان . وهو الذي أثر في سيبويه وأوحى إليه بتلك الروح التي

(١) سيبويه : الكتاب ٢/٤٨٦

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/١٣٨

طالعنا ، في كتابه ففي غير موضع من الكتاب نجد سيبويه يسأل شيخه الخليل عن بعض أساليب القرآن الكريم فيجيبه معللاً ما فيها ، موجهاً له ، من ذلك أنه سأله عن كسر همزة "إِن" في قراءة من قرأ . وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون . فقال له : بينما قال : وما يشعركم ، ثم ابتدأ فأوجب فقال : إنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ولو قال : وما يشعركم أنها ، كان عذراً لهم " .

ثم عرض سيبويه لقراءة أهل المدينة بفتح الهمزة ، فعللها الخليل بقوله : "هي بمنزلة قول العرب : أنت السوق أنت تشتري لنا شيئاً . أى لعلك فكانه قال : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون " <sup>(١)</sup> .

إن الخليل درس لغة العرب ، ولم يدع شعراً ولا كلاماً منطوقاً ولا قراءة قرآنية إلا كان يبحث فيها ويستبطئ منها مع ملاحظته مستويات اللغة

ولكن ما الذي كان يفعله الخليل إذا تعارض السماع والقياس ؟ إن له في هذا رأياً ذاع في خالفة ، وبني عليه بعضهم أبواباً كاملة في كتبهم كما فعل أبو على في العسكرية ، وابن جنى في الخصائص وفهوى هذا المذهب أن السماع الصحيح عن العرب لا يتعارض عليه بالقياس وهذا واضح في كلام سيبويه : "قال الخليل : كل شيء من ذلك عدله العرب تركته على ما عدلته عليه وما جاء تاماً لم يحدث العرب فيه شيئاً فهم على

---

<sup>(١)</sup> سيبويه : الكتاب ١٢٣/٣

القياس ، فمن المعدول الذى هو على غير القياس قولهم فى " هذيل " هذى  
، وفي فقى : فقى ..<sup>(١)</sup>

وفي عصر الخليل اشتقت الأصارة بين النحو والفقه ، وبينه وبين  
علم الكلام ، ولا سيما في مدينة البصرة ، أو في العراق عامه ، فقد امتد  
الجدل الفكري والديني حتى عم المتفقين بالإضافة إلى أن تأثير الفقه في  
النحو ظهر منذ المراحل الأولى إذ كان النحاة يرون فيه أصل العلوم  
العصيرية ولذلك كانوا يهتمون به وينهلوون منه ويشاركون فيه .

وعرف القدماء والمعاصرون أن الخليل أعظم النحاة الذين أخذوا  
بعدهج الرأى وفسروا ظواهر اللغة وبناها الداخلية والخارجية تفسيراً ذهنياً  
يفيد من نظم اللغة .

وربما كان الخليل بن أحمد أول من قال بتركيب الأدوات وبحث في  
أصول بعضها ، فمثلاً هم " يرى الخليل أنها مركبة من " لم " أدخلت  
عليها " الهاء " كما أدخلت على " ذا " .

وقد فصل ابن جنى الحديث في هذا فقال : " ومنها هلم وهو اسم  
أنت ، وتعال ، قال الخليل هي مركبة وأصلها عنده " ها " للتبيه ثم قال لم  
" أى لم بنا ثم كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفاً<sup>(٢)</sup> .

وذهب الخليل إلى أن " لن - هلا " مركبة من " لا " و " أن " .  
ولكنهم حذفوا لكثرة في كلامهم ، كما قال ويلمه : يريدون : ولا لأمه

<sup>(١)</sup> سيبويه : الكتاب ٣٣٥/٣

<sup>(٢)</sup> الخصائص : ٢٣٠/٣ ، ٢٥٥/٣

وكما قالوا : يومنذ بمنزلة حرف واحد ، كما جعلوا " هلا " بمنزلة حرف واحد فإنما هي : هل ، لا <sup>(١)</sup> .

ومن أثر الخليل فيمن جاء بعده من النحاة أنه :

١) كاشف قناع القياس ومصححه في تاريخ النحو ، وما سيبويه وابن جني والفارسي إلا من المتخرجين بجامعة الخليل ، وربما جاز لنا أن نقول : ابن الخليل كون مذهباً أو مدرسة تبدأ به ويتولى فيها سيبويه والمبرد وابن السراج والزجاج والفارسي وابن الشجرى وأبو البركات الأنبارى وابن يعيش .....

وابن كانت تختلف خطوطه هؤلاء في مدى إفادتهم من الخليل ، والاقتداء به .

٢) الخليل مثبت أركان النحو وصاحب معظم الآراء التحوية التي صارت مشاععاً بين المتأخرین .

<sup>(١)</sup> سيبويه : الكتاب ٣/٥

## **أبو الأسود الدؤلي**

نکاد المصادر تجمع على أن اسمه الأول " ظالم " إلا أن بعض الروايات النادرة تذهب إلى أنه " عثمان " ولكنها تختلف في ترتيب أجداده، فالجاحظ يذكرهم على الشكل التالي : ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان، وينكرهم غيره على هذا الشكل : ظالم بن سراق ، أو عمرو بن شيبان بن ظالم ، ولا شك أن ما ذهب إليه الجاحظ وهم ،

وتنعدد لأقوال في نسبة ، فالآكثرون على أنه " الدؤلي " ويرى آخرون أنه الديلى أو " الدئلى " ، ويرجع هذا الاختلاف إلى تشابه اللفظ ولم تحدد المراجع سنة ولادته ، ولكنها تجمع على أنها قبل الإسلام وعلى أنه مات سنة تسع وستين للهجرة ، عن عمر بلغ الخامسة والثمانين ، وبحسب هذا تكون ولادته قبل الإسلام بثلاث سنوات وقد جمع أبو الأسود رواية الحديث النبوي إلى قراءة القرآن ، فروى عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وعن أبي ذر ، وغيرهم .

كما عرف بالإحاطة بلغة العرب وأشعارها ، منذ أن كان يختلف إلى على بن أبي طالب ، وكان الناس يرجعون إليه إذا اختلفوا في أشعار الناس ، أو إذا أرادوا أن يعرفوا شيئاً من شئون اللغة .

وفي رواية أن رجلاً قام لابن عباس فسأله عن أشعر الشعراء فقال ابن عباس : أخيره يا أبو الأسود الدؤلي " فقال : الذي يقول فلينك كالليل الذي هو مدركي .. وإن خلت أن المتأتى عنك واسع .

كان أبو الأسود مرجع الناس في تفسير القرآن الكريم ، ويبدو أنه كان يعرف شيئاً من الكلمات السريانية ، فقد ذكروا أنه فسر قوله تعالى :

فصر هن إليك " بأنه يعني : قطعهن وقال : هي كذلك في السريانية ، وكان الناس يرونـه شيخـ العلم وفقـهـ الناس وصـاحـبـ عـلـىـ وخـلـيقـةـ عـبـدـ اللهـ بنـ العـباسـ .

وـهـذـهـ الشـهـرـةـ الـعـلـمـيـةـ تـفـسـرـ اـتـقـاقـ الرـوـاـيـاتـ التـىـ أـجـمـعـتـ عـلـىـ أـنـهـ هوـ الـذـىـ نـدـبـ إـلـىـ نـقـطـ المـصـحـفـ فـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ تـعـدـ أـسـمـاءـ الـأـمـرـاءـ وـاـخـتـالـفـ الـأـخـبـارـ فـىـ أـنـهـ عـمـرـ أـوـ عـلـىـ أـوـ مـعـاـوـيـةـ أـوـ زـيـادـ نـجـدـهـ تـنـقـقـ فـىـ أـنـ الـمـنـدـوبـ هـوـ أـبـيـ الـأـسـوـدـ الدـوـلـيـ لـاـ غـيرـهـ .

وـمـنـ الـمـؤـكـدـ أـنـ وـضـعـ النـحـوـ وـنـمـوـهـ فـىـ عـلـمـ أـبـيـ الـأـسـوـدـ مـرـبـلـتـ بـثـلـاثـ مـرـاحـلـ :

الـمـرـحـلـةـ الـأـوـلـىـ : كـانـتـ أـيـامـ اـخـتـالـفـهـ إـلـىـ الـأـمـامـ عـلـىـ كـرـمـ اللهـ وـجـهـهـ وـمـاـ أـفـادـهـ مـنـهـ فـىـ فـهـمـ لـغـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ،ـ وـلـتـأـمـلـ فـىـ تـرـاكـيـبـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ وـاسـتـبـاطـ بـعـضـ الـضـوـابـطـ الـبـسيـطـةـ .

الـمـرـحـلـةـ الـثـانـيـةـ : وـتـنـمـيـلـ بـنـدـبـ الـأـمـرـاءـ لـهـ إـلـىـ نـقـطـ المـصـحـفـ ،ـ فـهـوـ هـنـاـ لـاـ يـقـرـأـ قـرـاءـةـ الـمـلـقـنـ بلـ قـرـاءـةـ الـبـقـطـ الـحـذـرـ الـذـىـ يـفـكـرـ فـىـ الـعـبـارـاتـ وـيـتـأـمـلـ الـظـواـهـرـ ،ـ وـيـرـاقـبـ تـغـافـلـ الـمـدـلـولـ لـتـغـاـيـرـ الـتـرـكـيـبـ ،ـ وـقـدـ هـيـأـتـ لـهـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ أـنـ يـسـلـكـ فـيـ الـاستـبـاطـ مـسـلـكـ الـمـسـتـقـرـىـ مـفـيدـاـ مـاـ طـبـعـ عـلـيـهـ مـنـ فـصـاحـةـ فـطـرـيـةـ ،ـ وـمـاـ تـهـيـأـ لـهـ مـنـ أـسـبـابـ الـقـاـفـةـ وـالـمـعـرـفـةـ .

الـمـرـحـلـةـ الـثـالـثـةـ : وـهـىـ الـمـرـحـلـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ مـنـ حـيـاتـهـ ،ـ وـفـيهـاـ اـخـتـالـفـ إـلـيـهـ النـاسـ مـنـ الـمـقـرـنـيـنـ ،ـ يـأـخـدـونـ عـنـهـ مـاـ أـصـلـهـ ،ـ فـازـدـادـتـ هـذـهـ الـأـصـولـ

رسوخاً عنده ، وبدأت تترعرع وتتشعب من جراء التعليم ، وما يجري هناك من حوار بينه وبين تلامذته الوعيين .

وترجع قيمة أبي الأسود الدؤلي في تاريخ التحو إلى أنه أول من اتجه بالدراسة اللغوية إلى الاستقراء والاستبطان وكانت قبله تقوم على محاكاة الأعراب والاختلاط بهم وحفظ الشعر والأنساب ، فتحول بها إلى وضع الضوابط الدقيقة ، ورصد الطواهر المتبدلة في تركيب العربية .

وأبو الأسود الدؤلي هو الذي قام بنقط المصحف حين قال لزياد قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدأ بآيات القرآن ، فابعدت إلى بثلاثين رجلا ، فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم ينزل يختارهم حتى اختار منهم زياداً من عبد القيسى فقال : خذ المصحف ، وصيغماً يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقطع واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله ، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقطع نقطتين<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن هذا يدل على وعيه اللغوي وأن لديه إدراك بدلاً وبوضوح على إدراك أبي الأسود لتصريف الكلمات ووظائفها في التركيب وما ينجم عن ذلك من اختلاف الحركات .

<sup>(١)</sup> ليضاح الوقف والإيماء ص ٤٠ - ٤١

## سيبويه

اسمه عمرو بن عثمان بن فنبر بفتح القاف والباء ومكون ما بينهما وهو فارسي الأصل والنشأة ، الأولى حيث ولد بقرية البيضاء من قرى شيراز ، وقد أتم مرحلته التعليمية الأولى في شيراز أو غيرها من بلاد فارس ، وفيها كان تطبعه الاجتماعي واللغوي وبعد ذلك رحلت أسرته إلى البصرة وكان ذلك بداع غير معروفة وبتاريخ غير محدد <sup>(١)</sup> .  
وكان سيبويه طموحاً للتزود بالثقافة العربية فلما قدم البصرة التحق بحلقات الفقهاء والمحدثين ، فلازم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدث المشهور في ذلك الوقت .

ويرى البعض أن سيبويه قد رحل إلى البوادي العربية وعايش العرب في بيئتهم المختلفة فشاهدهم ، وسمع منهم ونقل عنهم ، وقد ذهب هذا المذهب كثير من الباحثين والدارسين وأكذبوا لأنفسهم ولغيرهم أن سيبويه قد رحل إلى الأعراب في بواديهم فسمع منهم ونقل عنهم نقاًلاً مباشراً .

والواضح من الكتاب لمسيبويه أنه نقل عن سابقيه كل ما عنهم وخاصة الخليل بن احمد الفراهيدي . وقد ذكر كثير من الباحثين والدارسين أنه صاحب منهم معين اعتمد فيه على السماع والقياس .

(١) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحوين من ٦٥

- ابن النديم : الفهرست ٨٢ ، المسيري : أخبار النحوين البصريين من ٤٨

- السيوطي : بغية الوعاة ٣٦٦

- الزبيدي : ناج العروس ٣٠٥/١

- النقاطي : إنباء الرواية على إنباء النحاة ٣٤٦/٢

وعندما هبط سيبويه البصرة كانت الدراسة الإسلامية نوعين : دينية وأدبية ، وتشمل الدينية القراءات والتفسير والحديث والفقه ، وتشمل الأدبية اللغة والنحو والصرف ورواية الشعر وغيرها .

وقد طلب سيبويه أولاً علوم الدين ثم اتسع إلى علوم الأدب وغلب عليه النحو حتى صار فيه الإمام الأعظم .

فسيبويه تعلق من كل علم بحسب ، وضرب فيه بضم إلى جانب إمامته في العربية . وتدل بعض آرائه على أنه كان يحب الكتب حتى جما ويقبل على العلم بقلالاً شديداً حتى لا يكاد يفضل له شيئاً أو يشغل عنه شيئاً ويزرون في ذلك أنه كانت لديه جارية وكانت له محبة ، فلما رأت إعراضه عنها وانصرافه إلى كتابه بجمع جزازته وبيولف أبوابه الأولى ترصدت له حتى خرج لبعض شأنه فأخذت جذوة نار وطرحتها في الكتاب حتى احترقت ، فلما رجع سيبويه ورأى كتبه وقد صارت هباءً غشى عليه ثم أفاق فطلقها .

وكان للخليل تلاميذ أبرزهم اثنان هم : الأخشن وقطرب ، وكان سيبويه زملاء أخذوا العلم معه عن الخليل وبرز منهم أربعة وهم : سيبويه وقد غلب عليه النحو ، ومؤرخ السدوسي وقد غلب عليه الشعر واللغة ، وعلى بن نصر الجهمي وقد غلب عليه الحديث ، والتضرير شمبل وقد غلب عليه اللغة ، كرعوا معاً في معين الخليل ، وكان لكل مع ذلك لون خاص ومزية غير مزايا الآخرين .

## مصادر المادة النحوية

### ١- القرآن الكريم

أجمع اللغويون على أن القرآن الكريم ذروة البلاغة والفصاحة العربية ، وعلى أنه البنوع الأعظم والدليل الأقوم في استبطاط قواعد اللغة والنحو وتقرير مسائهما ، وخير ممثل للغة العربية المشتركة ، ولهذا فقد أجمعوا على صحة الاستشهاد بقراءاته المتباعدة متواترها ، وأحادتها، وشادتها ؛ لأن هذه القراءات إنما تعتمد على المشافهة بالرواية ، وعلى رسوم أمهات المصاحف العثمانية ، وهي ابن شنت و تفردت لوائق بكثير من المرويات الأخرى من غير القرآن .

ولقد تبانت مواقف اللغويين من القرآن وقراءاته ، ففي حين لم يعهد أن أحداً منهم قد تعرض لشئ مما ثبت في المصحف بالنقد والتخطئة فإن نظرتهم إلى القراءة قد حذرتها الغاية من الاستشهاد بها .

ولقد اضطرب موقف النحاة من الاستشهاد بالقرآن لكريم بين النظرية والممارسة العملية ففي حين أكد هؤلاء النحاة إن القرآن الكريم يحتاج بكل قراءاته حتى الشاذة والضعيفة فإن موقفهم في الممارسة العملية لل Shawāhid بما دونه في كتب النحو يشير بوضوح إلى أن هؤلاء العلماء قد تعنوا صرف أنفسهم عن استقراء النص القرآني لاستبطاط القواعد منه .

## ٢- الحديث النبوى الشريف

يجمع العلماء على أن كلام رسول الله (ص) يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ببلغة وفصاحة وجمال أسلوب ، وبراعة تركيب ، فلا يسمو إليه أو يدنى به كلام عربي مهما علت بلاغته وارتفعت فصاحته ومع ذلك فقد أغمض النحاة عيونهم عن الاستشهاد به ، وأحجموا عن الأخذ به في استنباط الأحكام ، ورصد الأنظار النحوية وهو موقف مشابه ل موقفهم من الاستشهاد بالقراءات إذ لا نجد في كتب النحاة الذين قعدوا النحو وأصلوا أصوله وفنبوا مصطلحاته وألوابه شيئاً يشير إلى موقف النحاة الأوائل من الاحتجاج بالحديث .

والقارئ لكتاب سيبويه لا يجد فيه إلا حديثاً واحداً أورده على سبيل توكيد غيره من النصوص لا للاحتجاج به .  
وسار على هذا المبدأ من جاء بعده من علماء النحو حتى كان ابن خروف وابن مالك في القرنين السادس والسابع الهجريين .

### كلام العرب

ويراد به ما سمع من أشعار العرب وأمثالهم ، وما جرى في مخاطبتهم ، وهو المصدر الشامل للاستشهاد ، وأهم العناصر التي اعتمد عليها علماء اللغة بصفة رئيسية في بناء القواعد والاحتجاج لها . على أن كلام العرب لم يستشهد به على علاته بل اعتمد على فصحاء العرب من قبائل عربية معينة معزولة في قلب الجزيرة العربية ، ومع هذا فقد تحرى العلماء في العرب الصحة اللغوية والفصاحة .

وعلى الرغم من التحديد المكانى للغة إلا أنهم أيضاً رسموا منهجاً فى التلقى والأخذ من وسموا بالبداوة فكان تدوينهم للغة واستنباط القواعد منها مبنياً على الأكثر الشائع والمشهور فى لغات هذه القبائل وهو مسلك سلكه أبو عمرو بن العلاء .

وقد احتاج النحويون بكلام العرب الموثق بفصاحتهم بقسميه :  
الشعر والنثر فى حدود الزمان والمكان اللذين تواضعوا عليهما .

أما الشعر : فقد أولاه النحويون عناية فائقة حتى اصططغ النحو صبغة شعرية وعدوة العنصر الأساسي لهم ، وطغى أمره على باقى المادة اللغوية لدرجة أن كلمة الشاهد قد أصبحت فيما بعد لا تعنى غير الشعر .  
وكانت البداوة شرطاً من شروط الشعر الذى يحتاج به وكان من نتيجة هذا أن حكموا على الشعراء الإسلاميين بضعف شعرهم .

أما النثر فتمثل شواهده نوعين من المادة اللغوية :  
الأول : ما وقع منهم على شكل مثل أو كلمة أو خطبة أو وصية أو نادرة  
فهذه يحتاج بها كاحتاجهم بالشعر وشروطه .

الثاني : ما روى عن الأعراب من يستشهد بكلامهم في حدوثهم الدارج دون أن يشتهر شهرة النوع الأول ، ولقد حددوا لهذا النوع حدوداً زمانية هي نهاية القرن الثاني الهجري ، وأخرى مكانية حيث ارتبطت بفكرة البداوة والحضارة .

## **بدء النشاط النحوى والتأليف**

اتفق القدماء على أن لباً الأسود وضع أول نقط يحرر أواخر الكلمات في القرآن الكريم فقد قال زياد ابن أبيه : " وقد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن الكريم فابعدت إلى ثلاثين رجلاً ، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبيد القيس فقال : خذ المصحف وبصيغة يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقطع واحدة فوق الحرف ، وإذا ضمتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله فلن اتبع شيئاً من هذه الحركات " غنة " فانقطع نقطتين .

وابداً أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره بينما كان الكاتب يضع النقط بصيغة يخالف لون المداد الذي كتب به الآيات الكريمة وعرف هذا الصيغة في تاريخ الفكر النحوي باسم " اسم العربية " أي أن لباً الأسود رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه .

ونتج عن قول أبي الأسود لكتابه : فتحت وضمنت وكسرت مصطلحات الفتحة والضمة والكسرة فيما بعد ، وقد اختار أبو الأسود أن تكون الفتحة من فوق الحرف لأن فيها استلاء ، وأن تكون الكسرة من تحته لأن فيها تغفالاً ولم يبق للضمة إلا موضع واحد وهو أن تكون بين يدي الحرف أو في وسطه أو أمامه وقد سمي التنوين غنة لأن التنوين كما نعلم نون ساكنة تلحق آخر الاسم نطقاً لا كتابة وهناك جزء من نطق النون الساكنة يخرج من الأنف ، وقد اهتم أبو الأسود بقراءة القرآن الكريم ورواية الحديث النبوى وكان على علم واسع بلغات العرب وهناك بعض

الروايات التي تدل على خوضه في الغريب اللغطي واستعماله في الكلام، وكان يحيط بأشعار العرب ويكثر من حفظه ، وينظر أن الناس اختصوا ليلة حتى ارتفعت أصواتهم فمن يستحق أن يكون أشعر الناس فقال على كرم الله وجهه - لأبي الأسود : قل يا أبا الأسود  
قال أبو الأسود وكان يتصف لأبي دؤاد الإيادي أشعرهم الذي يقول :-  
ولقد اغتدى ودافع ركتني أحسونى ذو ميعنة إضريره

وهناك رواية أخرى تقول ابن رجلأ قام لابن عباس فسأله عن أشهر الشعراء فقال ابن عباس : - أخبره يا أبا الأسود فقال الذي يقول  
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتawai عنك واسع

وحيث تحدث القدماء عن جهد أبي الأسود في مجال النحو قالوا عنه : إنه أول من أنس العربية ونهج سبلها ووضع قياسها وذلك حين اضطرب كلام العرب وصار سراة الناس ووجههم يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحرروف النصب والرفع والجر والجزم .

وقد بدأ التأليف في النحو منذ الطبقة الثانية البصرية ثم أخذ يتدرج بعد ذلك في أشكال متعددة وأساليب مختلفة .

وليس من السهل أن نعرف تدرج التأليف النحوي على وجه دقيق وذلك لضياع كثير من كتبه ولا سيما المؤلفات الأولى في هذا العلم مثل كتابي الإكمال والجامع اللذين وضعهما عيسى بن عمر .

وأول كتاب شامل في النحو هو كتاب سيبويه المتوفى سنة ١٨٣ هـ ويحيى بعده من حيث الشمول كتاب "المفصل" الزمخشري المتوفى سنة ٥٥٣ هـ ، وبين عصرى هذين المؤلفين أكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن ظهرت فيها بعض الكتب النحوية :

ومن هذه الكتب مستقلة في بعض مسائل النحو، مثل رسالة الكسانى في نحو العامة ، والمذكر والمؤنث للفراء ، والمقصور والممدود لابن ولاد المصرى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ، وملحمة الأعراب للحريرى سنة ٥١٦ هـ ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ومرن النحو لأبى العباس ثعلب الكوفي .

ومنها كتب جاءت البحوث النحوية والصرفية في شتايها أو في بعض فصولها مثل كتابي الكامل والمقتبس للمبرد ، والأمالى للزجاجى المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، وكتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جنى ، وكتاب الأصول لابن السراج المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وكتابي الإيضاح والتكميل لأبى على الفارسى ، وبعض هذه الكتب لا يزال مخطوطاً ويحيى بعد كتاب المفصل للزمخشري كتب ابن الحاجب وهى :

الكافية وشرحها ، والوافية وشرحها في علم النحو ، والشافية وشرحها في  
الصرف .

ثم تجي ألبية ابن معط وألبية ابن مالك ، وهما من كتب النحو التي  
يعنى بدرسها وتحصيلها في وقتنا الحاضر .

ثم تجي كتب أخرى تجمع شمل القواعد النحوية في أساليب مختلفة  
مثل كتب ابن هشام ، وكتب السيوطي ، كتابه جمع الجواب في النحو مع  
شرحه المسمى الهوامع ، وكتاب الاقتراح في أصول النحو للسيوطى .



**نماذج  
من التأليف النحوى**



## نماذج من التأليف النحوى

### كتاب سيبوبيا

وقد تضمن كتاب سيبوبيا أبواباً متعددة عالجت جميع المسائل  
النحوية :

#### الجزء الأول من الكتاب :

ففي الجزء الأول تعرض المؤلف للموضوعات الآتية على الترتيب

- |                            |                    |
|----------------------------|--------------------|
| ١- الكلم أقسامه            | ٢- اللازم والمعندي |
| ٣- ما ينصب مفعولين أو أكثر | ٤- ضمير الشأن      |
| ٥- التنازع في العمل        | ٦- الاشتغال        |
| ٧- الإلقاء                 | ٨- البدل           |
| ٩- عمل اسم الفاعل          | ١٠- عمل المصدر     |
| ١١- الصفة المتباعدة        | ١٢- المصادر        |
| ١٣- لسم الفاعل             | ١٤- حذف العامل     |
| ١٥- التحذير                | ١٦- المفعول معه    |
| ١٧- المفعول المطلق         | ١٨- المفعول لأجله  |
| ١٩- الحال                  | ٢٠- الظرف          |
| ٢١- الجر                   | ٢٢- التوابع        |
| ٢٣- التعنت السببي          | ٢٤- علم الجنس      |

- ابن وأخواتها	٢٦	- المبتدأ	٢٥
- اللداء	٢٨	- كم	٢٧
- الاختصاص	٣٠	- التدبة	٢٩
- " لا " التي لففي الجنس	٣٢	- الترخيص	٣١
- الضمير	٣٤	- الاستثناء	٣٣
- المضارع	٣٦	- أى	٣٥
- التواصب والجوازم	٣٧		
- ابن وأن المشددتين	٣٨		
- ابن وأن المخففتين	٤٠		

## **الجزء الثاني من الكتاب :**

تعرض المؤلف في الجزء الثاني للموضوعات الآتية على الترتيب:

- ١- ما ينصرف وما لا ينصرف      ٢- الإضافة وهويات النسبة
- ٣- الثنوية      ٤- الجمع
- ٥- الإضافة لباء المتكلم      ٦- التصغير
- ٧- حروف القسم      ٨- حذف تنوين العلم إذا وصف
- باين
- ٩- التنون الثقيلة والخفيفة      ١٠- الفعل المضعف
- ١١- المقصود والممدود      ١٢- العدد
- ١٣- بناء الأفعال " صيغها "
- ١٤- الإملاء      ١٥- همزة الوصل
- ١٦- التقاء الساكنين
- ١٧- الوقف      ١٨- حروف الزوائد
- ١٩- الإعلال والإبدال      ٢٠- الإدغام

وقد سار في موضوعاته وأقسامه الأربع على التفصيل الآتي :

**- القسم الأول : قسم الأسماء ويتضمن :**

- |                               |                   |
|-------------------------------|-------------------|
| ١- معنى الكلام                | ٢- أصناف الاسم    |
| ٣- اسم الجنس                  | ٤- العلم          |
| ٥- الاسم والكتبة ولقب         | ٦- المفرد والمركب |
| ٧- المنقول والمرتجل           | ٨- الاسم المعرّب  |
| ٩- ما يمنع من الصرف           |                   |
| ١٠- ما يسوفي منه حركة الإعراب |                   |
| والجر                         |                   |
| والتنوين                      |                   |

**- وجوه الإعراب :**

- ١- المرفوعات : الفاعل - المبتدأ والخبر - خبر إن وأخواتها - خبر لا  
التي لنفي الجنس .
- ٢- المنصوبات : المفعول المطلق - المفعول به المنصوب باللازم -  
إضماره - ومنه المتداوى وما يقصد به الاختصاص ، المنصوب على  
التحذير ، وما أضمر عامله على شريطة التفسير "الاشتغال" -  
التزيم - التحذير ، المفعول فيه ، المفعول معه ، المفعول لأجله  
الحال - التمييز - الاستثناء .
- ٣- المجرورات : الإضافة ، التوابع ، التأكيد ، الصفة ، البدل ، عطف  
البيان .
- ٤- ومن أصناف الاسم المبني ، أسماء الإشارة والمواضولات ، وأسماء  
الأفعال ، والأصوات ، والظروف ، والمركبات ، والكتابيات ، والمثنى  
، والمجموع بأنواعه ، والنكرة والمعرفة ، والمذكر والمؤنث ،

والصغير ، المنسوب ، العدد ، المقصود ، الممدود ، الأسماء المتصلة  
بالأفعال أى المشتقات وهى ثمانية :

- |                                 |                |
|---------------------------------|----------------|
| ١- اسم الفاعل                   | ٢- اسم المفعول |
| ٤- الصفة المشبهة                | ٣- اسم التفضيل |
| ٦- اسم المكان                   | ٥- اسم الزمان  |
| ٨- المجرورات والمزيد من الأسماء | ٧- اسم الآلة   |

**القسم الثاني : قسم الأفعال ويتضمن ما يأتي :**

- |                               |                        |
|-------------------------------|------------------------|
| ١- اقسام الفعل                | ٢- وجوه إعراب المضارع  |
| ٤- المنصوب ومواضع نصبه        | ٣- المرفوع             |
| ٦- المتعدى وغير المتعدى       | ٥- المجزوم ومواضع حزمه |
| ٨- أفعال القلوب               | ٧- المبني للمفعول      |
| ٩- الأفعال الناقصة            | ١٠- أفعال المقاربة     |
| ١١- فعل المدح والذم           | ١٢- فعل التعجب         |
| ١٣- المجرد والمزيد من الأفعال |                        |

**القسم الثالث : قسم الحروف ويتضمن ما يأتي :**

- |                       |                               |
|-----------------------|-------------------------------|
| ١- حروف الإضافة "حراف | ٢- الحروف المشبهة بالفعل " إن |
| " وأخواتها            | " الجر"                       |
| ٤- حروف النفي         | ٣- حروف العطف                 |
| ٦- حروف الخطاب        | ٥- حروف الاستثناء             |

والكتاب حال من المقدمة والخاتمة وليس فيه تقسيم أو ترتيب كالذى نجده فى كتب النحو التى جاءت بعده ، وليس فيه فى أكثر الأحوال تلك المصطلحات التحوية التى نعرفها .

وفىما يلى أمثلة من عناوين أبوابه توضح ما أشرنا إليه هنا :

- ١- الفاعل الذى لم يتعد فعله إلى مفعول ، يعنى الفعل اللازم .
- ٢- المفعول الذى لم يتعد فعله ، ولم يتعد إليه فاعل ، يعنى المبنى للمجهول .
- ٣- الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعولين ، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول ، يعنى المفعولين اللذين ليس أحدهما المبتدأ والخبر مثل أعطى وكسا وأليس.
- ٤- الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعولين ، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر ، يعنى المفعولين اللذين أحدهما المبتدأ والخبر .
- ٥- الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول ، واسم المفعول والفاعل فيه لشيء واحد ، وذلك مثل : كان - صار - ما دام ، ليس ، وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر ، يعنى التواصخ .

هذه الأمثلة من موضوعاته ومصطلحاته .

أما الطريقة التى يتبعها فى عرض هذه الموضوعات ، فإنها مقرونة بالأمثلة الإيضاحية التى يبدأ بها فى كثير من الأحوال ، وليسون فى خال الشرح طائفة منها ويقرن ذلك بالشواهد .

وفي الكتاب أكثر من ألفى شاهد من شعر الجاهلين والإسلاميين وقد أصبح كثير من شواهده وأمثاله شائعاً بين النحاة فساقه في كتبهم وأخذه اللاحق منهم عن السابق .

والكتاب مجهد علمي يدل على دقة سيبويه في الإسلام بالقواعد النحوية ، وهي صورة لجهوده وجهود الطبقات التي سبقته وقد قام بجمعها وتنظيمها على الأسلوب الذي ارتأه .

على أن هناك شكاً في تصنيف سيبويه هذا الكتاب ، ولكن لا محل للمغالاة في هذا الشك .

فما تضمنه كتاب سيبويه هو خلاصة وافية لآلة المتن بجميع المسائل النحوية ، وقد وضعت بطريقة يتجلّى فيها الأسلوب العلمي لعرض المسائل في تلك العصور ، وتدل على فضل سيبويه ، وعلى عنايته هو ومن سبقوه بالبحث وتتبع الخصائص التي اشتغلت عليها لغة العرب .

### شرح كتاب سيبويه

وقد اهتم النحاة بهذا الكتاب ، وعني الكثيرون منهم بشرحه والتعليق عليه :

١- شرحه أبو سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ شرحاً أعجب به المعاصرون له .

٢- شرحه على بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر المتوفى سنة ٣١٥ هـ .

٣- شرحه أبو الحسن على بن سليمان الرمانى المتوفى سنة ٤٣٨ هـ .

٤- شرحه أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

٥- شرحه ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .  
كما شرحه غير هؤلاء من النحاة .

## **كتاب المفصل الزمخشري**

الزمخشري علم من أعلام الثقافة العربية ، وله آثار جليلة في التفسير والحديث والأدب والنحو .

وكتاب "المفصل" له شأن في علم النحو ، وقد نال حظاً كبيراً من الدرس والشرح ، فقد شرحه ابن الحاجب وسماه الإيضاح ، وشرحه العكبرى و ابن مالك و ابن يعيش وكثيرون غيرهم ، وشرح ابن يعيش لهذا الكتاب دافع متداول ومرجع للدارسين .

ويشير الزمخشري في مقدمة هذا الكتاب إلى أهم الأسباب التي دعته إلى تأليفه وهي : شعوره بما لدى المسلمين من رغبة في معرفة كلام العرب وشفقتهم على أشياعه المحبين للأدب .

فهذا الشعور دفعه إلى إنشاء كتاب في الإعراب يحيط بكلة الأبواب ورتبه ترتيباً يحقق الغاية من أقرب سبيلاً .

وقد سماه كتاب المفصل في صنعة الإعراب ، وقسمه أربعة أقسام : القسم الأول : في الأسماء ، والثاني في الأفعال ، والثالث في الحروف ، والرابع في المشترك من أحوالها ، وصنف كل قسم تصنيفاً ، وفصل كل صنف تفصيلاً فارجع بذلك كل شيء إلى أصله .

ونظرة إلى الكتاب تظهر أن الزمخشري قد حقق ما قال فالكتاب مؤلف تأليفاً يجمع بين المنتجاتين من الموضوعات ، وهو يمثل مرحلة من مراحل التدرج في إخراج علم النحو :

وقد ألم بما في كتاب سيبويه في نظام علمي واضح وبأسلوب أقرب إلى ما نعرف الآن من تقسيم وأصطلاحات في هذا العلم .

- ٧- حروف الصلة الزائدة  
 ٨- حروف التفسير  
 ٩- الحرفان المصدريان "ما ، أن " ١٠- حروف التخصيص  
 ١١- حروف التقريب "قل ط" ١٢- حروف الاستقبال  
 ١٣- حرف الاستفهام "الهمزة" هل ١٤- حرف الشرط "أن ، لو"  
 ١٥- اقتران الجواب بالفاء ١٦- حرف التعليق "كى"  
 ١٧- حرف الردع "كلا"  
 ١٨- اللامات وهى سبعة أنواع "لام التعريف - لام جواب القسم -  
 اللام الموطنة - لام جواب لو ولا - لام الأمر - لام الابداء .  
 ١٩- ناء التأنيث الساكنة ٢٠- التنوين وهى خمسة  
 أضرب
- |                                    |                                    |
|------------------------------------|------------------------------------|
| ٢٢- هاء السكت<br>٢٤- حرف الإنكار . | ٢١- النون المؤكدة<br>٢٣- شين الوقف |
|------------------------------------|------------------------------------|
- القسم الرابع: وهو القسم المشترك ، ويتضمن ما يأتي:**
- |  |   |
|--|---|
| ٢- الوقف<br>٤- تخفيف الهمزة<br>٦- حكم أوائل الكلمة "همزة الوصل"<br>زيادة الحروف<br>٨- الاعتدال | ١- الإمالة<br>٣- القسم<br>٥- النقاء الساكنين<br>٧- إيدال الحروف<br>٩- الإدغام |
|--|---|

هذه هي مباحث الكتاب والنظرة إليها تبين نظاماً وجمعًا للمجاهس من الموضوعات مما لم يكن في كتاب سيبويه ، كذلك تبين أغلب المصطلحات المستعملة الآن في الكتب .

والكتاب سهل واضح في عباراته وأسلوبه العلمي ، وليس في الكتب التي بينه وبين كتاب سيبويه ما وصل إلينا كتاب عالج المباحث النحوية على هذا النحو من الكمال والشمول وإنما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة أو في مباحث صرفية هي أقرب إلى الصيغة اللغوية ، أو هي بحوث نحوية تجيء في ثابيا الموضوعات الأدبية وفي خلال شرح القصائد أو المقطوعات أو غيرها .

فكتاب المفصل يعتبر مرحلة نامية للنمو ، وحلقة كاملة الوضع في سلسلة البحوث النحوية .

## كتب ابن الحاجب

جاء ابن الحاجب بعد الزمخشرى بأكثر من مائة سنة ، وله فى النحو والصرف كتابان هما " الكافية " فى النحو و " الشافية " فى الصرف ، وهما ذانعان بين كتب هذين العلمين وقد عنى بشرحهما كثير من العلماء .  
شرح الكافية : وأهمها شرح الاستراباذى : الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن المتفقى سنة ٦٨٦هـ .

وقد أثني عليه السيوطى فقال : " لم يؤلف عليها الكافية " بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمماً وتحقيقاً وحسن تعليل – وقد أكب الناس عليه وتدألوه ، واعتمد شيوخ هذا العصر ومن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة واختبارات جمة .

شرح الشافية : وأهمها شرح الاستراباذى وشرح الجابردى أحمد بن الحسن فخر الدين المتفقى سنة ٧٤٦هـ . ومباحث كتاب الكافية تسير فى اصطلاحاتها وفى نهجها العام وفى ترتيبها على طريقة تشبه فى كثير من التواхى ما اتبعه الزمخشرى فى كتابه المفصل .

فقد بدأ بشرح الكلمة والكلام والاسم المعرف ، والإعراب وعلاماته ثم تكلم على المرفوعات من الأسماء ، وعلى المنصوبات ، والجرورات ، ثم على التوابع ، ثم على النكرة والمعرفة ، وعلى المذكر والمؤنث ، والمثنى والجمع ، وعلى المشتقات ثم تكلم على الفعل وأقسامه وأنواعه ، ثم على الحرف وأنواع الحروف .

ومباحث كتاب الشافية تسير في مادتها وطريقتها على نهج يقرب  
مما تجده الآن في كتب الصرف المعروفة .  
وإلى جانب ذلك اشتغلت على بحوث في مخارج الحروف وصفاتها  
، وفي الخط أى الرسم الإملائي ، كلما الكتابين على شكل متن موجز على  
الطريقة المتبعة في تأليف المتنون .

## كتب ابن مالك

وابن مالك من علماء الأندلس والمغرب وقد عاش في القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٧٢ هـ .

ومن كتبه الألفية المسماة " الخلاصة " ، وكتاب " لامية الأفعال " ، وكلا الكتابين ذاتع متداول بين الدارسين وقد نال كتاب الخلاصة عناية كبيرة من تصدوا للتعليق عليه بالشروح والحواشي لا سيما شرح ابن عقيل ، وشرح الأشموني ، وحاشية الصبان .

وقد أوضح الكتاب جميع المباحث التحوية مما يتصل بالمرفوعات والمنصوبات وال مجرورات والمشتقفات وبال فعل وإعرابه وبالتصغير والنسب والوقف والإملاء ، وبالإعلال والإبدال والإدغام .

وقد ألمت شروح هذا الكتاب وحواشيه مما يحتاج إليه من استثناء الشروط وما يتطلب من شواهد .

كتاب لامية الأفعال :

كتاب لامية الأفعال نظم موجز أوضح فيه ابن مالك الأفعال والمشتقفات وما يتصل بها .

وقد شرحه الشيخ بحرف اليمني ، وكتب الشيخ أحمد الرفاعي حاشية على هذا الشرح وهي متداولة وقد شرحها علماء آخرون .

وكتاب لامية الأفعال يتضمن المباحث الآتية :  
أينية الفعل وتصاريقه – أحکام اتصال الفعل الماضي بناء الضمير أو نونه – أينية الفعل المزید فيه – فعل ما لم يسم فاعله – فعل الأمر –

أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين – أبنية المصادر مفعل ومفعل بكسر العين  
وفتحها – مفعلة بفتح الميم والعين – اسم الآلة .

## كتب ابن هشام المتوفى سنة ٥٧٦ هـ

ظهر ابن هشام بعد ابن مالك ب نحو ١٠٠ عام وله مؤلفات كثيرة في

النحو أشهرها :

١- قطر الندى    ٢- شذور الذهب    ٣- أوضح المسالك

٤- مغني اللبيب .

والكتاب الأول مقدمة على هيئة متن ألم فيها المؤلفون بأبواب النحو  
في إيجاز وترتيب ثم شرحها .

أما الكتاب الثاني : شذور الذهب على هذا المنهج أيضاً ، فهو متن  
وشرح للمؤلف ، ولكن على مستوى أعلى من قطر الندى .  
والكتابان متقاريان في المنهج في الموضوعات وفي الطريقة  
ويسيران بالمتعلم سيراً متدرجاً سهل المأخذ .

والكتاب الثالث إيضاح لألفية ابن مالك قريب المأخذ بعد عما في  
المتون المنظومة من التواه في العبارة أو غموض في المعنى .  
والكتاب الرابع وهو " مغني اللبيب عن كتب الأعaries ، كتاب قيم  
وله شأن في البحوث النحوية .

وقد عنى كثير من العلماء بشرحه و التعليق عليه وإعراب شواهد ،  
ويمتاز بالطريقة التي اتبعها مؤلفه في ترتيب المباحث وتنظيم الموضوعات  
النحوية ، فقد حصر بحوثه في ثمانية أبواب :  
الأول : في تفسير المفردات وذكر أحكامها .  
الثاني : في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها .

الثالث : في ما ذكر ما يتردد بين المفردات والجمل وهو الجار والجرور وذكر أحكامها .

الرابع : في ذكر أحكام يكثر دورها ويقيح بالمعرب جهلا .

الخامس : في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الحال أو الاعتراض من جهتها .

السادس : في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها .

السابع : في كيفية الإعراب .

الثامن : في ذكر أمور كثيرة يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية .

وقد نحا ابن هشام في طريقته وإيضاح موضوعات كتابه المغني منحى يتم على إياكار في الاتجاه ، والسير على نهج بعض السابقين الأوليين من علماء اللغة والنحو كابن جنى .

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك ، وفي مقدمة كتاب المغني ذكر ابن هشام مأخذة على كتب النحاة والتي عمل على اجتنابها فقال : واعلم أنى تأملت كتب الأعراب فإذا السبب الذى اقتضى طولها ثلاثة :

أحدها : كثرة التكرار - فإنها لم توضع لإقامة القوانيين الكلية بل الكلام على الصور الجزئية ، فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ، ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام فجمعوا هذه المسائل ونحوها مقررة محررة في الباب الرابع من هذا الكتاب فعليك بمراجعته فإنك تجد به كنزًا واسعًا تتفق منه ، ومنهلاً سائغاً ترده وتتصدر عنه .

الأمر الثاني : إيراد ما لا يتعلق بالإعراب " النحو " كالكلام فى اشتقاد " اسم " فهو من السمة كما يقول الكوفيون أم من المسمى كما يقول البصريون والاحتجاج لكل من الفريقين وترجيح الراجح من القولين وكالكلام على لفظة لم حذفت من البسملة خطأ وعلى باء الجر ولامه لم كسرنا لفظاً ؟

وكالكلام على لفظ " ذا " الإشارية أو زائدة هي كما يقول الكوفيون أم منقلبة عن باء هي عين واللام باء أخرى محدوقة كما يقول البصريون . والأمر الثالث : إعراب الواضحت كالمبتدأ أو خبره ، والفاعل ونائه ، والجار والجر ، والعاطف والمعطوف .

## **كتب السيوطي المتوفى ٩١١ هـ**

ظهر بعد ابن هشام بنحو قرن ونصف من الزمان وهو مؤلف له أثر في علوم مختلفة ومن كتبه المشهورة في علم النحو .

١- كتاب جمع الجوامع وشرحه المسمى " همع الهوامع " وقد ألم هذا الكتاب بأطراف المباحث التحوية وأوجه الخلاف في مسائلها ، وحرص مؤلفه على أن يحشد فيه جميع ما حوتة كتب النحو من آراء ، كما صرحت بذلك في مقدمته .

أقسام الكتاب :

قسم الكتاب إلى مقدمة وسبعة كتب :

١- المقدمة : وقد تضمنت المقدمة تعريف الكلمة وأقسامها والإعراب والبناء ، وأنواع الإعراب في الأسماء والأفعال والذكرة والمعرفة وأنواع المعارف .

والكتب السبعة تضمنت ما يأتي :

الأول : في العمد : وهي المرفوعات من الأسماء والأفعال .

الثاني : في الفضلات : وهي المنصوبات .

الثالث : في المجرورات وما حمل عليها وهي المجزومات .

الرابع : في العوامل .

الخامس : في التوابع .

السادس : في الأبنية

السابع : في التصريف .

الخاتمة : ثم خاتمة في الخطأ الرسم الإملائي .

## أطوار التأليف النحوى

### الطور الأول : طور الوضع والتكون

يؤرخ العلماء لهذا الطور بعد أبي الأسود الدؤلي بنصر بن عاصم الليثي المتوفى ٨٩٦هـ إلى عهد الخليفة عبد الله الفراهيدي ت ١٧٥هـ وهذا الطور بصرى خالص وبرز فيه طبقتان من علماء البصرة وهما :

الطبقة الأولى : تبدأ من عهد نصر بن عاصم ت ٨٩٦هـ إلى يحيى بن يعمر ١٢٩هـ وأشهر علمائها .

- ١- نصر بن عاصم الليثي ت ٨٩٦هـ
- ٢- عنبرة الفيل ت بعد ١٠٠هـ
- ٣- عبد الرحمن بن هرمز ت ١١٧هـ
- ٤- يحيى بن يعمر العدوانى ت ١٢٩هـ

منهج هذه الطبقة : كان منهج هذه الطبقة ميسطاً ، إذ وضع أبو الأسود القواعد العامة في الأبواب التي سبقت الإشارة إليها مقصورة على السماع ، ولم تصلنا عن هذه الطبقة كتب منظمة يمكن الاعتماد عليها ، وقد قام فيها نصر بن عاصم في عهد الملك بن مروان بإعجام المصحف بالنقط المعروفة الآن بعد أن أصلح من النقط التي وضعها أبو الأسود لتتل على جهة الصوت ، وذلك بتحويلها إلى الحركات المعروفة فحات نقط نصر بن عاصم محل نقط أبي الأسود وتحولت نقط أبي الأسود إلى ضمه أو ضمتهن أو فتحة أو فتحتين وكسرة أو كسرتين إلى الآن .

غير أثنا نشير إلى التقرير بين نوعين من التنفيط ، فالنقطة التي وضعها نصر بن عاصم هي نقط الإعجام التي تفرق بين الباء والباء والباء .  
لكن نقط أبي الأسود هي النقطة التي تشير إلى الإعراب و الوظيفة  
التي تحولت فيما بد إلى الحركات على يد الخليل بن احمد الفراهيدي غير  
أثنا نود أن نلقي نظر الدارس إلى أن العربية بوظائف مفرداتها وكيفية  
نطقها لم يطرأ عليها اي تغول فكما استعملها العرب ظلت كما هي غير ان  
ما طرأ عليها من لحن بدأ من العصر العباسي إلى العصور التالية :

الطبقة الثانية من الطور الأول :

تبعد هذه الطبقة من عهد عبد الله بن أبي اسحاق ١١٧هـ إلى عهد  
أبي عمرو بن العلاء ١٥٤هـ ومن علمائها :

١- عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ت ١١٧هـ

٢- عيسى بن عمر ١٤٩هـ

٣- أبو عمرو بن العلاء ١٥٤هـ

منهج هذه الطبقة :

١- تهجّت هذه الطبقة منهج الاستبطاط واستعمال القياس فوضعته كثيراً من  
أصول النحو ومسائلة .

٢- اقتصرت مباحثهم - غالباً - على البحث في أواخر الكلمات ، لأنها  
هي التي انتشر وشاع فيها اللحن .

٣- دون أصحاب هذه الطبقة مباحثهم في مؤلفات .

٤- امتنجت مباحث النحو فيها بمباحث اللغة والأدب وغيرها من فروع  
اللغة .

٥- عن علماء هذه الطبقة تلقى رؤساء أهل الكوفة النحو فلقد ذهب أبو جعفر الرواىي ١٨٥هـ إلى البصرة فأخذ عن عيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء ثم رجع إلى الكوفة فنشر علمه هناك كما أخذ عنهم الكسانى ١٨٩هـ الذى يعتبر المؤسس资料 الحقيقى لمدرسة الكوفة بعد أن تعلم النحو من علماء البصرة كالخليل بن أحمد الفراهيدى .

#### **الطور الثانى : طور النمو والنشوء والارتقاء**

بعد هذا الطور مشتركاً بين المدرستين البصرية والковية وبدأ من عهد الخليل بن أحمد الفراهيدى ١٧٥هـ وأبى جعفر الرواىي وف هذا الطور ثلاث طبقات لكل من البصريين والkovيين الثالثة والرابعة والخامسة للبصريين ، والأولى والثانية والثالثة لkovيين .

#### **الطبقة الثالثة البصرية :**

تبدأ هذه الطبقة من عهد الأخفش الأكابر إلى عهد يونس ومن أشهر علماء هذه الطبقة ما يأتي :

- ١- الأخفش الأكابر
- ٢- الخليل بن أحمد الفراهيدى .

٣- يونس بن حبيب .

الطبقة الأولى من الكوفيين : يقابل الطبقة الثالثة من البصريين الطبقة الأولى من الكوفيين ومن أشهر علمائها :

- ١- أبو جعفر الرواىي .
- ٢- معاذ الهراء ١٨٧هـ .

الطبقة الرابعة البصرية : تبدأ هذه الطبقة من عهد سيبويه ١٨٠ هـ إلى عهد أبي زيد الأنصاري ٢١٥ هـ ومن أشهر علمائها :

١- سيبويه .

٢- البريدي محمد بن يحيى بن المبارك .

٣- أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي .

٤- الأصمي أبو سعيد عبد الملك بن قریب .

الطبقة الثانية من الكوفيين : من أشهر علماء هذه الطبقة الكسائي ، بل هو المؤسس الحقيقي - كما يقال - لمدرسة الكوفة .

الطبقة الخامسة من البصريين : كانت هذه الطبقة في عهد الأخفش الأوسط ٢١١ هـ وقطرب ٢٠٦ هـ .

الطبقة الثالثة من الكوفيين : ومن أشهر علماء هذه الطبقة :

١- الأحمر أبو الحسن على بن الصبارك المتوفي ١٩٤ هـ

٢- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي مولده ينی أسد المعروف بالفراء المتوفي ٢٠٧ هـ .

٣- اللخاني أبو الحسن على بن الصبارك ابن حازم الحياني .

### منهج هذا الطور وأثره

١- امتد البحث في هذا الطور إلى الصيغ والأبنية كما اتسعت مباحث الإعراب وقطعت شوطاً بعيداً واندرجت مباحث الأبنية والصيغ في مباحث النحو فكان علم النحو يعم الاثنين ولذا عرف في هذا الطور بأنه علم يعرف به أحوال الكلمة العربية إفراداً وتركيباً .

- ٢- استقل علم النحو عن المباحث اللغوية الأخرى من أمثال علم اللغة والأدب والأخبار ، وإن حرص بعض العلماء على أن يمزج في بعض مؤلفاته النحو باللغة والأدب والأخبار وما إلى ذلك مثل ما في كتاب العين وبعض كتب المتأخرین کمالی الزجاجی ٥٣٩ و ابن الشجری ٤٤٢ و الكامل للمبرد .
- ٣- اشتلت المنافسة بين المدرستین البصرة والکوفة واختلفت نزعة كل عن الآخر في وضع قواعدها ومقاييسها ومصادرها وتعليلاتها، وحرصت كل مدرسة على أن تفوز في الغلبة على الأخرى بشرف استكمال هذا العلم، واقتصر فروعه ، فنشبت بينهما نار العداوة فتجادلوا وتخاصموا .
- ٤- كان للكوفيین فضل السبق في علم الصرف على يد أبي جعفر الرؤاسى فقد عدوا بمسائله حتى فاقوا فيه على البصرىين ، وسبقهم إلى استنباط كثير من قواعده ، فعدوا المؤلفين الحقيقين فى علم الصرف ؛ إذ كانت مباحث الصرف عند البصرىين متفرقة في المرتبة الثانية ، ولم يتسع لها البحث في الطور الأول الذى أفردوه بالمباحث الأعرابية ، وبدعوا يفسحون له مادة النحو على يد الخليل ويونس ، وكان يعاصرهما أبو جعفر الرؤاسى الذى ذهب ليأخذ علم النحو من أهل البصرة ، وحينما رجع إلى الكوفة وجد ابن أخيه معاذ الهراء يشتمل بالأبانية فاشترك معه فيها إلى أن غلبت عليهما النزعة الصرفية
- ٥- كثرت في هذا الطور المؤلفات التحوية ، إذ انتشرت حركة التأليف ، ومن أشهر ما وصل إلينا منه كتاب العين للخليل والكتاب لمسيبوه ، والفيصل للرؤاسى ، والمصادر للكسانى و فعل وأفعال ومعانى القرآن للقراء .

### **الطور الثالث : طور النضج والكمال**

يبدأ هذا الطور من عهد كل من الجرمي البصري ٢٢٥هـ و ابن سعدان الكوفي ٢٣١هـ إلى عهد المبرد ٢٨٥هـ خاتم البصريين و تطلب ٢٩١هـ خاتم الكوفيين ، ويوجد في هذه الطور طبقتان لكل من البصريين والكوفيين السادسة والسابعة البصريةتان يقابلهما الرابعة والخامسة الكوفيتان

#### **الطبقة السادسة البصرية :**

- ١- الجرمي صالح بن اسحاق أبو عمر الجرمي البصري ت ٢٢٥هـ .
- ٢- التوزى بشديد النساء والوالو المفتوحتين نسبة إلى توز هو أبو محمد عبد الله بن محمد مولى قريش ت ٢٣٨هـ .
- ٣- المازنى أبو عثمان بكر بن محمد ولی بنى مددوس ت ٢٤٧هـ .
- ٤- أبو حاتم المسجستانى أبو حاتم مهمل بن محمد بن عثمان بن القاسم ت ٢٥٠هـ .

٥- الرياضى أبو الفضل العباسى بن الفرج الرياضى ٢٥٧هـ

#### **الطبقة الرابعة من الكوفيين : ومن أشهر علمائها :**

- ١- ابن سعدان أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوى المقرئ ٢٣١هـ .
- ٢- الطوال : أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن قادم الطوال من أهل الكوفة ٢٤٣هـ .
- ٣- ابن السكوت : هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكوت أخذ عن أبي عمرو الشيباني المتوفى ٢٤٤هـ .

**الطبقة السابعة من البصريين :**

ومن أشهر علمائها المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكابر الأزدي  
البصرى أبو العباس المبرد إمام العربية ببغداد فى زمانه أخذ عن المازنى  
والمسجستانى . وقال نبطوية ٣٢٣ هـ ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد  
منه .

**الطبقة الخامسة من الكوفيين :**

ومن أشهر علمائها ثعلب أحمد بن يحيى النحوى بن زيد مولى بنى  
شيبان إمام الكوفيين فى النحو واللغة فلن من تقدمه من الكوفيين وأهل  
عصره منهم .

## **منهج هذا الطور وأثره**

هذا الطور كان ملتقى علمائه في بغداد ، إذ هاجروا من البصرة والكوفة إلى بغداد بسبب الاضطرابات ، وكان يجتمع الفريقان فتحدى بينهما المناظرات والمناقشات والأحن والأحقاد ، واجتهد كل من تأييد مذهبه وإن خفت بعد ذلك حدة العصبية ، وهدأت بعد المبرد وشعلب ويمكن تلخيص منهج هذا الطور وأثره فيما يلى :

- ١- استقلت لمباحثات النحوية عن الصرفية أصبح لكل مبحث خاص ، وأول من سلك هذا الطريق المازنى حيث أنه فى الصرف وحده ، وإن تعددت المسالك بعده فى المباحث فمنهم من سلك مسلكه فآلف فى الصرف وحده ، ومنهم من خلط بين الاثنين إلا أنه قدم النحو أولًا ثم تحدث عن الصرف بعد ذلك .
- ٢- أكملوا ما فات السابقين ففصلوا ما أجملوا ويسطوا ما أبهموا واختصروا فأكملوا التعريفات وهذبوا الاصطلاحات .
- ٣- دخلت بغداد ميدان دراسة النحو مع اختيارها البصرة والكوفة .
- ٤- كان الترجيح بين المذهبين من أهم الخصائص .
- ٥- آلف فى هذا الدور كثير من المؤلفات التى تحكى المسائل الخلافية بين المذهبين البصرى والковى ففتحت الباب بعد ذلك للمؤلفين فى هذا النوع من الموضوعات .
- ٦- كان هذا المذهب بداية لغرس نبته المذهب البغدادى الذى فيه طور المقارنة والترجيح .

**الطور الرابع : دور الترجيح وهو طور المذهب البغدادي**  
يبداً هذا الطور من أوائل القرن الرابع الهجري ، وقد اختلفت  
مشارب علماء هذا الطور تبعاً لمن تلذموا عليه فمنهم من أخذ عن  
البصريين فغلبت عليه النزعة البصرية .

ومنهم من أخذ عن الكوفيين فغلبت عليه النزعة الكوفية ، ومنهم  
من أخذ عن المذهبين ونظر إلى العلم نظرة خاصة متجردة عن العصبية  
ومن هنا يمكن تقسيم علماء هذا الدور إلى ثلاثة مجموعات :

المجموعة الأولى : أصحاب البصريين .

المجموعة الثانية : أصحاب الكوفيين .

المجموعة الثالثة : المتحررين من قيود العصبية المذهبية .

**البغداديون أصحاب البصريين : ومن أشهر علمائها :**

١- الزجاج ت ٣١١ هـ وهو أبو اسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل  
الزجاج وكان من أكابر أهل العربية من أهل الفضل .

٢- ابن السراج ت ٣١٦ هـ هو أبو بكر محمد بن السرى نشا ببغداد وكان  
من أحدث أصحاب المفرد سناً مع ذكاء وفطنة ، فكان المفرد يقرية  
وقرأ عليه كتاب سيبويه .

٣- الزجاجى ت ٣٣٩ هـ هو أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجى  
المشهور في أيدي الناس . نسب إلى شيخه الزجاج الذي أخذ عنه كما  
أخذ عن أبي بكر بن السراج وعلى بن سليمان الأخفش .

٤- ابن درستويه : ت ٣٤٧ هـ هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه  
الفارسى النحوى : أخذ عن المفرد وعبد الله بن مسلمين قتيبة وعن

الدارقطنى ، وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة ، ومن مؤلفاته : الإرشاد في النحو ، وشرح الفصيح ، وغريب الحديث ، والمقصور والممدوح ، ومعانى الشعر .

٥- السيرافي ٣٦٨ هـ هو الحسن بن عبد الله بن المزربان أبو سعيد السيرافي النحوي كان أبوه مجوسيا اسمه بهزاد فسماه أبو سعيد عبد الله درس أبو سعيد ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض وقرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد ٣٢٤ هـ واللغة على ابن دريد ، وأخذ النحو عن ابن السراج ، وولي القضاة ببغداد ، وأفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ وما عثر له على زلة . ومن تصانيفه ، شرح كتاب سيبويه لم يسبق إلى مثله ، ويقال - إن أبيا على الفارسي وغيره من معاصرية حسدوه عليه ، ومنها ألفات القطع والوصل ، ومنها شرح شواهد سيبويه والمدخل إلى كتاب سيبويه ، والوقف والابتداء .

٦- الفارسي ٣٧٧ هـ هو أبو الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي كان من أكابر أئمة النحويين ، أخذ عن أبي بكر بن السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، وعلت منزلته في النحو حتى فضله كثير من النحويين على المبرد ، وأخذ عنه جماعة من حذاق النحويين كابن جنى ٣٩٢ هـ وعلى بن عيسى الريعي ٤٤٠ هـ وغيرهما كثير . ومن تصانيف أبو على : الحجة في القراءات السبعة ، والتذكرة ، وأبيات الإعراب ، وتعليقه على كتاب سيبويه والمسائل البغدادية ، والقصرية ، والبصرية ، والشيرازية و التعليقة .

### **أشهر العلماء الذين غلبوا عليهم النزعة الكوفية :**

١) ابن الأبارى ٣٢٧ - هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين

الإمام أبو بكر بن الأبارى النحوى اللغوى ، أخذ عن ثعلب ، وكان

أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة . ومن

مؤلفاته : غريب الحديث ، والهاءات ، والأضداد ، والمشكل ، والمذكر

والمؤنث ، والمقصور والممدود ، والواضح فى النحو ، واللامات .

٢) ابن خالويه : هو الحسين بن أحمد بن خالويه دخل بغداد

طالباً للعلم سنة ٤٣١ هـ ، وقرأ القرآن على ابن مجاهد والنحو والأدب

على ابن نفطوية ٣٢٣ هـ وأبي بكر بن الأبارى وأبى عمرو الزاهد

٤٣٤ هـ . ومن أهم تصنيفاته : الجمل فى النحو ، والاشتقاق ، والحججة

فى قراءات السبعة ، وإعراب ثلاثين سورة ، والمقصور والممدود ،

والمذكر والمؤنث .

### **أشهر علماء بغداد الذين تحرروا من قيود العصبية :**

١- ابن قتيبة ت ٢٦٧ هـ هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

النحوى الكاتب ، وسمى الدينوى نسبة إلى دينور لأنه كان قاضياً بها

أخذ عن أبي حاتم السجستاني وغيره ، وأخذ عنه أبو محمد عبد الله بن

جعفر بن درستويه وغيره . وكان عالماً فاضلاً فى اللغة والنحو

والشعر ، ومن أشهر مصنفاته : غريب القرآن ، وغريب الحديث ،

ومشكل القرآن ، ومشكل الحديث ، وأدب الكاتب ، وكتاب المعرف ،

وعيون الأخبار ، وطبقات الشعراء .

٢- ابن كيسان : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ، أخذ عن المبرد وشاع حتى صار أئمـاً منهاـ إـذ كان يحفظ المذهب البصري والكوفي . ومن تصانيفه : المذهب في النحو ، واللامات ، وغريب الحديث ، ومعانى القرآن ، وعلـ النـوـ ، وما اختلفـ فـيهـ البصريـونـ والـكـوفـيـونـ .

٣- الأخفش الأصغر ٤٣١٥هـ : وهو على بن سليمان بن الفضل النحوى أبو الحسن الأخفش الأصغر ثالث الثلاثة المشهورين . ومن تصانيفه : شرح كتاب سبورة ، والتثنية والجمع ، وقد تعرض لهجاء ابن الرومى كثيرا ، وقدم مصر سنة ٢٨٧هـ.

## من أعلام النحو

١- ابن جنی : ٣٩٢

هو أبو الفتح عثمان ابن جنی كان أبوه مملوکاً رومیاً لسلیمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلى . وكان من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بال نحو والتصریف وعلمه بالتصیریف أقوى وأکمل من علمه بال نحو . مؤلفاته كثيرة منها الخصائص في النحو ، وسر صناعة الإعراب ، وشرح تصیریف المازنى ، وشرح مستقلق الحماسة ، وشرح المقصور والممدود ، واللمع في النحو جمعه من شیخه الفارسی ، والمذکر والمؤنث ، ومحاسن العربية ، والمحتسب في إعراب القراءات الشاذة ، وشرح الصصیح .

وتوفي ابن جنی سنة ٤٣٩ھـ بعد أن عمر أكثر من تسعين عاماً<sup>(١)</sup> كان من أهل الأدب وأعلمهم بال نحو والتصریف أخذ عنه الثمانين ٤٤٢ھـ وعبد السلام البصري ، وأبو الحسن السسمى ٤١٥ھـ . وكان ابن جنی يحضر عند المتبني ٣٥٤ھـ ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أتفة وإكباراً لسنّه وكان المتبني يقول فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس .

٢- الزمخشري :

هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري ، كان واسع العلم كثير الفضل غایة في الذكاء وجودة القریحة

(١) السیوطی : بعیدة الدعاة ٣٠١

منتقا في كل علم معترضنا مجاهراً باعتزاله حنفياً ، ورد بغداد وأخذ الأدب عن الحسن بن المظفر أبو على النيسابوري ٤٤٢ هـ وأبي مصر الأصبهانى ٥٠٨ وسمع من أبي سعد الشفانى ، وشيخ الإسلام أبي منصور الحارثى ، لقب بجار الله لأنّه جاور مكة كما لقب بفار خوارزم ، وأصحابه خراج في رجله فقطعها له أحد .

ومن مؤلفاته : الكشاف في التفسير ، واللائق في غريب الحديث ، والمفصل في النحو ، والأنموذج في النحو ، وشرح بعض مشاكل المفصل ، والقططان في العروض ، والأحاجي النحوية .

- ٣ - أبو البركات كمال الدين بن الأنبارى :-  
هو عبد الرحمن محمد النحوي ت ٥٧٧ هـ

لكن يلتبس على كثير مدلول ثلاثة يسمون بابن الأنبارى أولهم أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى صاحب غريب الحديث وخلق الناس وخلق الفرس توفي ٣٠٤ هـ والثانى ابنه أبو بكر ٣٢٨ هـ الذي مضى الحديث عنه . والثالث كمال الدين هذا ٥٧٧ هـ .

كان كمال الدين إماماً نقاً صدوقاً فقهياً مناظراً غزير العلم ورعاً زاهداً نقيناً عفيفاً ولا يقبل من أحد شيئاً له مؤلفات كثيرة منها : كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين المتصريين والكتوفيين ، والإغراط في جدل الإعراب وميزان العربية ، ونزعه الآباء في طبقة الآباء ، والأضداد ، التوادر وعقد الإعراب ، وكتاب كلا وكلنا وكتاب الآلـف واللام ، وشفاء السائل في بيان رتبة الفاعل ، والوجيز في التصديق والبيان في غريب القرآن ، وشرح ديوان المتتبى وشرح السبع الطوال ، والمقبوض في

العروض والموجز في القوافي ، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء .

٤- ابن مضاء القرطبي :- ٥٩٢ هـ

هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حرث بن عاصم بن مضاء اللخمي قاضي الجماعة أبو العباس وأبو جعفر الجيلاني أحد من ختمت بهم المائة السادسة من العلماء .  
تقدم في العربية فكانت له آراء فيها ومذاهب مخالفة لأهلها ، كان واسع الرواية عارفاً بالأصول والكلام والطب والهندسة والحساب شاعراً بارغاً ومن مؤلفاته :- الشرق في النحو ، والرد على النحاة ، وتزميه القرآن بما لا يليق بالبيان ، وقد ناقشه في هذا التأليف ابن خروف النحوى ٦١٠ هـ بكتاب سماه تزميه أنمة النحو بما نسب إليهم من الخطأ والسواء . ولد ابن مضاء سنة ٥١٣ هـ بقرطبة وتوفي باشبيلية سنة ٥٩٢ هـ .

٥- ابن خروف :-

هو علي بن محمد بن علي نظام الدين أبو الحسن بن خروف الأندلسي النحوى ، أخذ النحو عن ابن طاهر ٥٨٠ هـ ثم بُرِزَ في العربية ، وقرأ النحو بعده بلاد ثم أقام بحلب مدة .  
له مناظرة مع السهيلي ٥٨٣ هـ كما أن له ردًا على ابن مضاء القرطبي ومن مؤلفاته : شرح كتاب سيبويه أهداه إلى صاحب المغرب فمنه ألف دينار ، وله شرح الجمل للزجاجي ، والرد على ابن مضاء في كتابه تزميه أنمة النحو ، توفي باشبيليه سنة ٦١٠ هـ .

٦- العكبرى : ت ٦٦٦ هـ :

هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الإمام محب الدين أبو البقاء العكبرى البغدادى الضرير النحوى ، منسوب إلى عكرا ، أحد العربية على يحيى بن نجاح ، وابن الخشاب ٥٦٧هـ ، ومن مؤلفاته : إملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن ، وإعراب الحديث ، وإعراب الشواذ أو شرح الفصيح ، وشرح خطب ابن نباته ، وشرح اللمع ، وشرح أبيات الكتاب ، واللباب في علل البناء والإعراب والتوصيف في التصريف ، وترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم والاستياب في الحساب .

٧- ابن معط : ٦٢٨هـ هو يحيى بن معط بن عبد النور أبو الحسين زين الدين الزواوى المغربي الحنفى النحوى .

قرأ على الجزوی ٦٠٧هـ ، وسمع من ابن عساکر ٦٢٠هـ ، وأقرأ النحو بدمشق مدی ثم مصر في عهد الملك الكامل الأيوبي .

ومن مصنفاته الألفية في النحو التي أشار إليها ابن مالك في مقدمة ألفيته ، وله كتاب حواشى على أصول ابن السراج في النحو ، وكتاب شرح أبيات سيبويه ن وله نظم في القراءات ، ونظم كتاب الصلاح للجوهرى في اللغة وغيرها كثیر ... الخ .

٨- ابن يعيش : ٦٤٣هـ :

ابن يعيش يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السريا محمد ابن علي بن المفضل بن عبد الكريم ابن محمد بن يحيى النحوى الطبى موفق الدين أبو البقاء المشهور بابن يعيش وكان يعرف بباب الصانع .

قرأ النحو على فتيان الحلبي ٥٥٦هـ ، وأبي العباس البىزورى وسمع الحديث على الرضى التكريتى ، وأبى الفضل الطوسي ، ورحل إلى بغداد ليدرك أبا البركات كمال الدين الأبيارى ٥٧٧هـ فبلغه خبر وفاته بالموصل ، ثم قدم دمشق وجالس الكندى ٦١٣هـ ، وتصدر بطلب للإقراء زماناً ، وطال عمره ، وشاع ذكره .

وكان حسن الفهم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدى والمنتهى من مؤلفاته : شرح المفصل ، وشرح تصريف ابن جنى . وتوفى ابن يعيش سنة ٦٤٣هـ وعمره يقارب التسعين .

#### ٩- ابن الحاجب ٦٤٦هـ :

هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمر بن الحاجب الكردى ، وكان أبوه جندىا كردىا حاجىا للأمير غرار ابن الصلاحي حفظ القرآن فى صغره ، وأخذ بعض القراءات عن الشاطى ٥٥٩هـ وسمع منه التيسير ، وقرأ بالسبع على ابن الجود ، وسمع من البوصيرى ٥٩٨هـ وتفقه على يد أبى منصور الأبيارى .

وكان مالكى المذهب الفقهي ، قدم دمشق ودرس بجامعها فى زاوية المالكية ، وأكب الفضلاء عليه ، وشهرته بال نحو أكثر .

ومن مؤلفاته : مختصر الفقه وآخر الأصول ، والكافية فى النحو وشرحها . وقد شرح المفصل بن يعيش فى كتاب سماه الإيضاح ، كما ألف الأمانى فى النحو .

وقد خالف النحاة فى مواضع من مؤلفاته ، وأورد عليهم إشكالات وإزامات مفحة يعسر الجواب عنها . وتوفى ابن الحاجب عام ٦٤٦هـ .

١٠ - ابن عصفور الإشبيلي :

ابن عصفور على بن مؤمن بن محمد بن على أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الأشبيلي ، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس أخذ عن الدياوح ٦٤٦هـ والشلوبين ٦٤٥هـ ولازمه مدة ، ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة ، تصدر للاشتغال مدة بعده بلاد وجال بالإندلس وأقبل عليه الطلبة .

وكان أصيর الناس على المطالعة ، ولا يمل من ذلك ، ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولم يتأهل لغيره .

ومن مؤلفاته : المقنع في التصريف والمقرب وشرحه وشرح الجزوئية أو مختصر المحتب .

١١ - ابن مالك ٦٧٢هـ :

هو محمد بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الشافعى النحوى نزيل دمشق . سمع بدمشق من السخاوي ٦٤٣هـ والحسن بن الصباح ، وأخذ العربية عن جماعة منهم ابن يعيش الحطبي ٦٤٣هـ ، وجالس بحلب ابن عمرون ٦٤٩هـ ، وتتصدر بها لإقراء العربية وصرف همته إلى اتقان لسان العرب القراءات وعللها فكان إليه المنتهي في نقل غريب اللغة والاطلاع على وحشيتها ، وكان في النحو والتصريف كرآ .

فكان الأئمة يتحيرون في أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو ويتعجبون من أين يأتي بها ، بل كان أمة في الاطلاع على

الحديث، فكان أكثر ما يستشهد به القرآن فإن لم يجد الشاهد فيه عدل إلى الحديث ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب .

وتصانيفه كثيرة تزيد على الثلاثين منها : الألفية التي تسمى بالخلاصة ، لأنها مختصر لتنظيم كتابه الكافية الشافية الذي نظمه في ثلاثة آلاف بيت ولقد شرحها ولم يخل لسان من النطق بها ولا عجب فقد حوت النحو والصرف كلها .

ومن مؤلفاته أيضاً : الكافية الشافية ، وعدة اللاظف في أصول النحو وشرحه وإكمال العمدة ، والتسهيل ، وشرحه ، وإعراب صحيح البخاري ، وكتاب أفعال من فعل ، وكتاب في الإبدال ، والماليكي في القراءات .

ويكفيه فخراً ألفيته التي قامت عليها شروح كثيرة منها : شرحه هو وشرح ابنه بدر الدين محمد ، وأبن هشام المصري ٥٧٦١ صاحب المغني ، وبهاء الدين بن عقيل ٧٦٩ هـ بودر الدين بن أم قاسم المرادي ٥٧٤٩ هـ ونور الدين أبو الحسن الأشموني ٩٢٩ هـ ، وغير هؤلاء كثير ، وتوفي رحمة الله عليه سنة ٦٧٢ هـ .

#### ١٢- ابن الناظم : ٥٦٨٦ :

هو بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الدمشقي النحوى كان إماماً في النحو والمعانى والبيان واليديع والعروض والمنطق جيد المشاركة في الفقه والأصول ، أخذ عن والده . من مؤلفاته : شرح ألفية والده ، وشرح كalfiyah ، وشرح لاميته ، وشرح التسهيل ، والمصباح في اختصار المفتاح في المعانى ، ومقدمة في العروض ، ومقدمة في المنطق ، وتوفي بدمشق سنة ٥٦٨٦ .

### ١٣ - الرضي ٦٨٦ هـ :

هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الامسترابازى هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة .

وفي المدينة المنورة شرح الكافية في النحو لابن الحاجب شرحاً لم يوجد مثيله في غالب كتب النحو ، ثم شرح الشافية في الصرف لابن الحاجب أيضاً ، وقد أكب الناس على هذين الشرحين وتدأولوهما واعتقدوها شيوخ ذلك العصر ، ولم يدع الشرحان شيئاً من النحو أو الصرف إلا أوفاه حقه ، وهو فيما يصرى المذهب غالباً لكنه قد يوافق الكوفيين وأحياناً ينفرد برأ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

### ومن الأمثلة التي وافق فيها الكوفيين :

(أ) شرطية أن المدغمة في "ما" نحو أنت منطلقاً انطلقت حيث قل :  
ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب لمساعدة اللفظ والمعنى إياه .

(ب) وافق الكوفيين في أن المصدر المتسبك من أن والفعل في مثل قولنا عسى زيد أن يقوم بدل اشتمال حيث قل : والذى أرى أن هذا وجه قريب <sup>(١)</sup> .

(جـ) وافق الكوفيون في كون كل من الناء والياء والكاف والهاء هي لضمير وذلك في مثل قولنا : أنت وابيائى وإياك وإياه حيث قال : وليس هذا القول بعيداً كما قدمتنا في أنت .

ومن الأمثلة التي خالف وهؤلاء ما يأتي :

<sup>(١)</sup> شرح الكافية ٢/٣٠

أ - خالفهم في عدم عطف البيان نوعاً مستقلاً في التوابع ، فرأى إدماجه في بدل الكل من الكل وبين عطف البيان بدل لا أرى عطف البيان إلا البدل  
ب - خالفهم في أن "إذن" حرف ناصب للمضارع كما يقول البصريون وبعض الكوفيين أو في أنها اسم أصله إذا ، والتنصب بعده بأن مضمرة كما يقول معظم الكوفيين ، إذ يرى أن أصلها "إذ" والتنصب بعدها بأن مضمرة .

ج - خالفهم في جعلهم الصفة المشبهة موضوعة للدואم ، فيرى أنها موضوعة لمجرد الثبوت إذ قال : والذى أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدث فى زمان ليست أيضاً موضوعة للاستمرار فى جميع الأزمنة ، لأن الحدوث والاستمرار قيدان فى الصفة ، ولا دليل فيها عليهما . وتوفي رحمة الله عليه سنة ٦٨٦هـ .

#### ١٤- ابن أجرؤوم : ت ٧٣٣هـ

هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجى أبو عبد الله المشهور بابن أجرؤوم ، ومعناه بلغة البربر الفقير الصوفى ، يشتهر بأجرؤوميته التى قامت عليها شروح كثيرة ، واتجاهه فيها اتجاه كوفي لأنّه عبر عن الجر بالخفض ، وقال إن الأمر مجزوم ، وذكر كيفما من الجوازم ، وهذه الاتجاهات كوفية . وتوفي ابن أجرؤوم رحمة الله عليه بفاس سنة ٧٣٣هـ .

#### ١٥- أبو حيان ت ٧٤٥هـ

هو محمد بن يوسف بن على ابن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطى التقرى نسبة إلى نفرة قبيلة من البربر ، كان نحوى عصره ولغويه ومحدثه ومقرئه ومؤرخه .

ولد في إحدى ضواحي غرناطة فأخذ القراءات عن أبي جعفر الطبع والعربيه عن أبي الحسن الأبدي ٧٠٨هـ وأبي جعفر بن الزبير ٧٠٨هـ وابن أبي الأحوص ٦٧٩هـ .

تقدم في النحو وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب ، وسمع لحديث بالأندلس وأفريقيه والإسكندرية ومصر والجاز مكن نحو أربعينه وخمسين شيئاً .

برع في النحو والتفسير والعربيه والقراءات والأدب والتاريخ وأخذ عنه أكابر عصره وتقدما في حياته كالشيخ تقى الدين السبكى ٧٥٥هـ وابن أم قاسم ٧٤٩هـ ، وابن عقيل ٧٦٩هـ والسمين ٧٥٦هـ ، وابن مكتوم ٧٤٩هـ ، ومن أشهر تصانيفه البحر المحيط في التفسير ، واتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب والتزليل والتكميل في شرح التسهيل ، وغاية الأحسان في النحو ، والمبدع في التصريف .

#### ١٦- ابن هشام ٧٦١هـ :

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى الشیعی جمال الدین العلامة المشهور ، تلا على ابن السراج ٧٤٩هـ وسمع على أبي حیان ٧٤٥هـ دیوان زهیر بن أبي سلمی ، وحضر دروس الناج التبریزی ٧٤٦هـ وقرأ على الناج الفاکھی ٧٣١هـ آتقن ابن هشام العربية ففارق القرآن بل الشیوخ وحدث عن ابن جماعة ٧٣٣هـ بالشاطبية وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم ، وانفرد بالقوائد الغربية والباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة .

يقول ابن خلدون ٨٠٨هـ عنه : " مازلنا ونحن بال المغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم يقال له ابن هشام أئمّى من سبوبة . مؤلفاته كثيرة منها : أوضاع المسلط إلى الأئمة ابن مالك شرحة الشيخ خالد الأزهري ٩٠٥هـ في كتابه التصريح على التوضيح وعلق عليه الشيخ الأستاذ المرحوم محمد محي الدين عبد الحميد ، ومن كتبه أيضًا شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، ومغني اللبيب من كتب الأعاريض . وتوفي رحمة الله عليه سنة ٧٦١هـ .

١٧ - ابن عقيل ٧٦٩هـ : هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي الهندي الأصل الشافعى المذهب نحوى الديار المصرية ،أخذ القراءات عن القى الصانع ٧٢٥هـ ، ثم لازم الجلال الفزويى ٧٤٥هـ ، وأبا حيان وغيرهما ، ويتوأ فى العربية منزلة مشايخه ، فدرس التفسير بالجامع الطولونى بعد شيخه أبي حيان ، ومن أهم تصانيفه تفسير القرآن وصل فيه إلى آخر سورة آل عمران ، ومحضر الجامع النفيسي فى الفقه جامع للخلاف والأوهام الواقعة للنحوى ولله المساعد فى شرح التسهيل أملأه ، وله شرح على الأئمّة وهو المشهور بشرح ابن عقيل وللسيوطى حاشية على شرحه تسمى بالمسيف الصقلى على شرح ابن عقيل .

وتوفي رحمة الله عليه سنة ٧٦٩هـ ودفن بمصر بالقرب من الإمام الشافعى ٢٠٤هـ رضى الله تعالى عنهمَا .

#### ١٨ - الشيخ خالد :

هو خالد زين الدين بن عبد الله ولد بجرجا من بلاد صعيد مصر ، ثم نزح وهو طفل مع أبيه إلى القاهرة ، فحفظ القرآن ، واشتعل مساعداً في الأزهر .

وقرأ في العربية على يعيش المغربي ٩٠٠ هـ ، والسننوري ٨٨٩ هـ إلى أن حصل من العلم الشيء الكثير وصار مؤلفاً .

من مؤلفاته : موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، وشرح الأجرمية ، وإعراب الألفية ، وشرح أوضاع المسالك إلى ألفية ابن مالك ويسمى شرح التصريح بمضمون التوضيح وهو مشهور شرح فيه توضيح ابن هشام ، وحدد المنهج الذي سار عليه في مقدمته ، وتوفي رحمة الله بقليوبية مصر وهو عائد من الحج سنة ٩٠٥ هـ .

#### ١٩ - السيوطي :

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدينى بن الفخر عثمان بن ناظر الدين بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الخضرى الأسيوطى الشافعى .

ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتربى بجزيرة الروضة على ضفاف نيل مصر ، وختم القرآن ومنه دون الشانى .

نشأ يتيمًا ، وكان ذكياً حفظه وطاف في سبيل العلم إلى الشام والجاز واليمن والهند ، ومؤلفاته نحو ستمائة كتاب ورسالة بين مطول وموجز في الفقه والتفسير والحديث وتاريخ القرآن والتاريخ وال نحو

وطبقات النحاة والمفسرين وفي فن اللغة وفقها ، وأكثر كتبه تداولاً :  
الأشباه والنظائر ، وجمع الجوامع وشرحه هم الهوامع ، وشرح الكافية  
والشافية لابن الحاجب ، والاقتراح في أصول النحو والمزهر في علم اللغة

وأنواعها ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، وغير ذلك كثير .

وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٩١١ هـ رحمة الله تعالى عليه .

#### ٤٠ - الأشموني :

هو أبو الحسن على نور الدين بن محمد بن عيسى الأشموني ، ولد  
بناظر سباع مصر ، ثم توطن القاهرة مكتباً على العلم مع نقش في  
المأكل والملبس والمفرش ولا هم إلا العلم والمطالعة .

أخذ عن الجلال المحلي والكافيجي ٨٦٤هـ - ٨٧٩هـ - والتقي  
الحسني ٨٢٩هـ ، ومن أشهر مؤلفاته التي خلدت ذكره شرحه على ألفية  
ابن مالك سماه منهج السالك إلى ألفية ابن مالك " وقد خلا منهج السالك من  
الإفراط الممل وعلا عن التفريط المخل وكان بين ذلك قواماً" . ولم يأل  
جهداً في تبيحه وتهديه وتوضيحه وتقريره .

وقد قامت على شرح الأشموني عدة حواش منها : حاشية حسن ابن  
على المدابغى ٧٠٠هـ ، وحاشية أحمد بن عمر الأسقاطى ١١٥٩هـ -  
وحاشية الحفني ١١٧٦هـ لكن أشهر من حاشية الصبان ١٢٠٦هـ -  
وتوفي الأشموني ٩٢٩هـ بعد أن جاوز التسعين رحمة الله عليه .

## ٢١- الصبان ١٢٠٦ هـ :

هو أبو العرفان محمد بن على ولد بالقاهرة ونشأ فقيراً متواكلاً ولم ينفعه فقره من حفظ القرآن والمتون والاجتهد في طلب العلم .  
فتتلمذ على حسن بن على المناطلوي الشافعى الأزهري المشهور بالمدايغى ١١٧٠ هـ ، ومحمد بن محمد الحسنى التونسى المالكى المعروف بالبلidi ١١٧٦ هـ ، وعطاء الله بن عطية البرهانى الشافعى الأجهورى ١١٩٠ هـ ، ومحمد بن عبادة بن برى العدوى ١١٩٣ هـ .  
وقد ألف فى مختلف العلوم لكن من أشهر مؤلفاته حاشيته على الأئمدونى الذى سارت بها الركبان فاحتفى بها العلماء وعلقوا عليها بالتقارير والحواشى كحاشية محمد بن محمد حسین الأنباری ١٣١٣ هـ ، وحاشية احمد بن محجوب ١٣٢٥ هـ وقد رسم الصبان فى مقدمة حاشيته المنهج الذى سار عليه . وتوفى الصبان سنة ١٢٠٦ هـ .

### النحو عند عصر السيوطي :

بعد عصر السيوطي ظهرت كتب متعددة فى النحو كان أغلبها شروحًا أو حواشى أو تعليلات على ما سبقها من مؤلفات .  
وهناك طائفة أخرى من الكتب التى ألفت على نسق متدرج قریب المثال لسد حاجة تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، وأغلب هذه الكتب سار فى ترتيب المسائل النحوية مبتدئاً بالكلام عن الاسم فال فعل فالحرف ، وما يتدرج تحت كل منها من أقسام ، ثم الكلام على بعض النواحي الصرفية كالتصغير والنسب والإعلال والإبدال .

هذه هي المادة العلمية التي تضمنتها الكتب النحوية في مراحلها المختلفة سارت متدرجة في نحوها واقتاتها ، وسلك العلماء في ترتيبها طرقاً مختلفة .

ولكنها ترمي إلى غاية واحدة هي البحث في الكلمة وأحوالها وأوضاعها وضبط آخرها ، وفي العوامل التي ينشأ عنها ذلك ، وفي صوغ الكلمات واشتقاقيها ، أو في الجملة وأنواعها .

وقد كانت كتب المقدمين توضع متضمنة لما اهتدوا إليه من حقوق نحوية وصرفية دون التجاء إلى متن وشرح .

ومنهم من كان يلجاً إلى نظام الأمالى يضمنه أنواعاً كثيرة في فنون اللغة والأدب .

وبعد أن اكتمل وضع علم النحو وتمت مسأله ، جاء فريق من العلماء فلم يجدوا موضعًا للمزيد فاتجهوا إلى شرح كتب المقدمين وتوضيح ما قد يصعب فهمه على من بعد العهد بينهم وبين العصور التي أفت فيها هذه لكتب .

ثم جاء فريق آخر رأوا أن يتبعوا طريقة التدرج في التأليف لكي يقربوا الحقائق إلى أذهان المتعلمين في مراحلهم المختلفة وليسهلوا عليهم حفظها فألفوا المتنون ، كما فعل ابن مالك في آليته المشهورة المعروفة بالأحروممية وكما فعل كثير من العلماء في القواعد النحوية وغيرها من فروع الثقافة العربية والإسلامية ، ولقد كان وضع الحقائق العلمية على هذه الصورة المنظومة مدعاعة إلى غموضها والتواطع عباراتها في بعض الأحيان

وقد يكون إلى جانب ذلك بعد عن استيفاء الشروط والجزئيات التي ترتبط بالقاعدة أو يتطلبها إتمام البحث .

ولهذا لم يكن بد من وضع شروح لهذه المدون ، فقام بذلك فريق من العلماء ، وكان لهم في النظام الذي وضعوه طرifican : إدحاماً أن يكون الشرح مستقلاً عن المتن ، كما في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .

والثانية أن يندمج الاثنان وت تكون منهما عبارات متصلة متامة كما في شرح الأشموني على الألفية المذكورة .

وقد ذُعَن هذا النظام وهو نظام المدون والشرح من عصر المماليك في أواسط القرن السابع الهجري ، ولا تزال الكتب التي ألفت على هذه الطريقة مستعملة إلى الآن في كثير من علوم العربية ، وفي القرن العاشر الهجري ظهر نهج آخر في التأليف وهو نظام الحواشى والتقارير .

أما الحواشى : فهو ليضاح لبعض عبارات الشرح ومسائلها بجلي ما في عباراتها من غموض ، أو يكمل ما فيها من نقص في الحقائق والشروط التي لم يستوفها الشرح .

وأما التقارير : فهي تعليقات على الحواشى لابداء ملاحظات أو إتمام نقص ولدينا كثير من هذه الأنواع في علم النحو . ومنشأ الحواشى هو أن نظام التعليم كان أساسه تدريس كتاب أو قراءته على حد تعبيرهم .

فكان النحو يعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح ، فإذا صادف غموضاً أو قصوراً أو نقصاً كتب على حاشية الكتاب ما يعالج ذلك

ثم يجيء من ينشرون الكتاب فيطبعونه مع الشرح ، وأحياناً يجعلون الشرح على هامش الكتاب والhashية في الصلب ، وأحياناً يكون العكس ، وذلك على حسب ما يقتضيه النظام الوضعي للكتاب ، فإذا تصدى أحد المدرسين لتدريس هذه المجموعة التي تتتألف من متن وشرح وحاشية أضاف إليه ما يعن له من تقريرات تطبيع مع هذه المجموعة في بعض أطراف الكتاب أو في ناحية بارزة منه على حسب مقدارها .

وقد يكون لهذا النظام في التأليف بعض الفوائد من ناحية التدرج في التحصيل العلمي ، فال المتعلّم يدرس أولاً المتن ، ويتقن ما تضمن من حقائق موجزة ، ثم ينتقل إلى الشرح وهو أوسع وأوسع ، ثم يرتفع إلى الحاشية والتقريرات ليست فيها من تحبيصات وزيادات ليست في الشرح ، وإلى جانب هذا كان حفظ المتن عن ظهر قلب عوناً على الإلمام بالحقائق العلمية وسهولة استحضارها والإجابة عن دقاتها .

ولكن هذا النظام له عيوبه وصعباته ، ذلك أن المتن في معظم أوضاعها تعني مكملة المعانى مخزنة الألفاظ ، وبعضها نظم يشوّه في الغالب قصور العبارة والتوازها وغموضها .

وعلى ذلك يتشعب جهد المتعلّم بين تحصيل الحقائق ، وتذليل ما في المتن من غموض وصعاب ، وإتمام ما فيه من نقص .  
ويرى فريق من يفضلون هذا النظام أن لهذه الطريقة غاية تعليمية هي شحد الفكر وتكون " ملكة الفهم " والمران على حل المعضلات اللغوية والجدل النفطي .

ولكن المجال فسيح لتحقيق هذه الغاية في ميدان الحقائق العلمية نفسها ، ولا سيما علم النحو فإنه حاصل بكثير من وجود الخلاف بين البصريين والkovfien وغيرهم ، وبأراء متعددة في التأويل وفي العلل التحوية .

## أصول النحو

بعد السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال مجموعة من الأسس التي اعتمد عليها القدماء في معالجة المسائل النحوية وقد سيطرت تلك الأسس على تفكيرهم النحوي ؛ لأنها استطاعت توجيه عقولهم في الخلافات التي نشأت بينهم ، وفي تغلب رأي على آخر حين تعدد الآراء ، وبالإضافة إلى سيطرتها على الكثير من الأعمال التحوية بصورة واضحة ، تعدد تلك الأسس : السماع ، والقياس ، والإجماع ، واستصحاب الحال المحور الذي دار حوله البحث المنهجي في أدلة النحو أو أصوله عند القدماء .

ولكن ما مفهوم أصول النحو عند القدماء : يقول أبو البركات الأنباري ت ٥٧٧هـ : أصول النحو : أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وفصوله ، كما أن أصول الفقه هي أدلة الفقه التي تتواتع عنها جملته وتتفصله .

ويقول السيوطي : ت ٩١١هـ : أصول النحو علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلة وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل ، ونشير إلى أن تلك الأسس أو الأدلة التي أشرنا إليها كانت موجودة عند الأوائل من النحاة قبل إفرادها بالبحث والدرس ، أو قبل تدوينها في أعمال علمية مستقلة ، وكانت يستخدمونها في التعرف على قواعد التركيب النحوي للجملة العربية ، فالقياس - مثلاً - استخدمه النحاة في توجيه الآراء وحسم الخلافات ، وتخرير الشواهد قبل أن يبحثوا في

تعريفاته وأركانه وطرق استخدامه ، لذلك نستطيع أن نقول إن علم النحو سابق فينشأة وجود على علم أصول النحو .

وقد اهتم القدماء بإفراد علم أصول النحو بالتأليف المستقل ، ووصل إلينا عدة مصادر تعد الأساس الذي يمكن في صورته التعرف على ما يتصل بهذا العلم واستخراج أدله وبيان مناهج البحث فيه وطريقة تطبيقه في التصوصن .

ولذا أردنا التعرف على التطور التاريخي للتأليف في أصول النحو فإننا نجد أول كتاب يحمل عنوانه اسم "الأصول" من تأليف ابن السراج ت ٤٣١٦هـ ، ثم جاء ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ ونظر في أصول النحو وفي أصول ابن السراج وقال : وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين - يقصد البصرة والكوفة - تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه . ثم وضع ابن جنى كتابه "الخصائص" الذي يعد البداية العلمية المنظمة للبحث في علم أصول النحو ، وبيان أساسه المنهجية، وأصبح علم أصول النحو واضح الحدود والمعالم على يد أبي البركات الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ وذلك في كتابه "لمع الأدلة في أصول النحو" وألف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ، كتاباً في أصول النحو عنوانه : "الاقتراح في علم أصول النحو" .

وبعض القدماء أفرد بعض أصول النحو بالتأليف ومن أشهر الكتب التي وصلت إلينا "الإيضاح في علل النحو" تأليف أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧هـ للهجرة .

وأدلة النحو أو أصوله عند ابن جنی ثلاثة هي : السماع -  
والإجماع - والقياس . وهي ثلاثة أيضًا عند أبي البركات الأثباتي : التقل  
- والسمع والقياس - واستصحاب الحال . وهي أربعة عند السيوطي :  
السمع والإجماع ، والقياس ، واستصحاب الحال وينتتج من هذا كله أربعة  
أدلة هي :

- ١- السمع                  ٢- الإجماع  
٣- القياس                  ٤- استصحاب الحال .

## القياس

القياس هو الأسماء الذي تبني عليه كل ما تستبطه من قواعد في اللغة أو صيغ في كلماتها أو دلالات في بعض ألفاظها ، فالقياس بمثابة المكياج أو الميزان الذي يبين الصحيح من الزائف وما يقبل وما يرفض ، فعلماء القرن الثاني الهجري بعد أن وردت لهم تلك الذخيرة اللغوية العظيمة ، وبعد أن ورثوا من الأساليب الأدبية القدر الكبير جعلوا كل هذا الذي جاءهم عن العرب الفصحاء أسماءً يبنون عليه ما قد يعن لهم ، أو نوراً يهتلون على ضوئه ؛ رغبة منهم في الاحتفاظ للغة العربية بطبعها . وليس القياس إلا استبطاط مجھول من معلوم ، فإذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى ، سمي عمله هذا قياساً .

فالقياس اللغوي هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال ؛ رغبة في التوسيع اللغوي وحرصنا على اطراد الظواهر اللغوية ، وقد لجأ النحاة إلى القياس منذ وضعوا لسس علم النحو وبدأ التأليف فيه ، وعلى أن القياس في نشأة النحو لم يكن له من الشأن ما كان في عهد الصراع العلمي بين مدرستي البصرة والكوفة ، واقتصر البصريون على جواز القياس على المتهور الشائع ، وأبوا القياس على القليل أو النادر في حين أن الكوفيين قد أجازوا القياس على الشاهد الواحد أو الشاهدين .

وقد كان لكل من المدرستين جولات وصولات في هذا الشأن وذلك لأن البصريين قد ألغوا من أساليب اللغة قواعد عامة بتوها على أكثر الأسلوب شيوعاً وألفة ، ثم التزموا هذه القواعد والأصول لا يبتعدونها ولا يسمحون لغيرهم أن يجاوزوها في شعر أو نثر .

أما الكوفيون فقد توسعوا في القياس ، وأباحوا التسبح على القليل أو النادر روى أن أبيا عمر بن العلاء سأله سائل قائلاً : خبرني بما وضع مما سميه عربية أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا .

قال فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهي حجة ؟

قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالقني لغات .

هذه الرواية تلخص لنا مذهب البصريين في القياس وذلك أنهم بعد أن استقرروا ما ورد لهم من نصوص اللغة اتخذوا مما كثر شيوعة وزادت نسبة وروده مقاييساً يؤمنون عليه القاعدة ويستبطون منه الصحيح المقبول، وتلك هي الطريقة العلمية الحديثة في تعريف القواعد واستخراج مسائل اللغة ، وكل ما يوحذ على البصريين أنهم لم يحددوا نسبة المقاييس عليه تحديداً دقيقاً بل اختلقو فيه بعض الاختلاف ، فما سماه أبو عمرو الأكثر سماه غيره بالكثير أو بالباب أو بالأصل وغير ذلك من مصطلحات وردت في كتب البصريين من اللغويين ، وظهر أثر هذا الخلاف في أن فريقاً منهم كانوا يعدون بعض المسائل قياسية ويعدها غيرهم سمعاعية : كالتعديبة بالهمزة والتضعيف وبعض صيغ المشتقات ونحو هذا ، وذلك لأن فكرة الكثرة والشيوخ لم تكن محددة النسبة في آرائهم تحديداً واضحاً ، فإذا ظهر لأحد علمائهم أن ظاهرة ما قد ورد لها عن العرب قدر من الأمثلة أو

الشواهد وبدا له أن هذا القدر يكفي لاعتبار هذه الظاهرة قياسية نادى بقياستها ، على حين أن عالما آخر كان يرى هذا القدر غير كاف ويقول بسماعية تلك الظاهرة .

أما الكوفيون فقد أنسوا القياس على كل ما روى عن العرب مهما قلت شواهده . وقد يظن لأول وهلة أن في نظرية الكوفيين تيسراً علينا نحن المولدين ، وأن في مسلكهم رخصة لذا تجزئ كثيراً من الأمور التي أياها البصريون ، غير أن الأخذ بمذهب الكوفيين قد يؤدي بنا في آخر الأمر إلى نوع من الاضطراب والفوضى في تعقيد القواعد وتنظيم مسائل اللغة . إذ يتربّط عليه خلو اللغة من الأطراز والانسجام وهذا شرط هام في الفهم والإدراك ومقاييس دقيق يقاس به ما بلغته كل لغة من نمو وتطور .

ويؤدي القياس دوراً مهما حين الكشف عن منهج الدرس النحوي عند علماء العربية بأنه من أسس المنهج النحوي ومن ركائزه الرئيسية ، وقد اهتم الخليل وسيبوه بالقياس ، ولكن الأساس عندهما هو كلام العرب الفصحاء الذين يعتقد بهم بالإضافة إلى قياسهما تركيباً نحوياً على آخر ومن أمثلة ذلك قوله سيبويه لحذف العائد في باب النعت على حذفه في باب الصلة ومن الشواهد قول الشاعر :

أبحث حمي تهامة بعد نجد وماشي حميت بمستباح  
فإن ما اسم موصول ، لذلك لابد من وجود جملة الصلة ، والعائد  
قد حذفه جرير ، والتقدير "حميته" ، وحمل سيبويه على هذا الحذف قول  
الحارث بن كلده :  
فما أروى أغيرهم ثناء وطول العهد لم مال أصايبوا

فإن جملة " أصابوا " في محل رفع صفة لـ " مال " والعائد  
محذوف والتقدير " ألمال أصابوه "  
**أركان القياس :**

القياس - كما عرفنا - حمل غير المسموع من الكلام على ما سمع  
من العرب ، وتعديه حكم الثاني إلى الأول ، ولوجود صفة ، أو ميزة  
مشتركة من أجلها أعطى غير المسموع حكم الشيوع ، ويترتب على هذا  
وجوب توافر أربعة أركان حتى تتحقق عملية القياس وهي :  
أصل : وهو المقيس عليه .

فرع : وهو المقيس .

حكم : وهو ما يسرى على المقيس مما هو في المقيس عليه .  
وعلة جامدة : وهي ما قدره النحويون من أسباب استحق بموجبها المقيس  
حكم المقيس عليه .

وقد نبه العلماء إلى ضرورة وجود شرط في كل ركن من هذه  
الأركان الأربع حتى تصبح بها عملية القياس :

١- المقيس عليه : وهو الأصل ويعنون به شيئاً .  
أولهما : المادة اللغوية المنقوله عن العرب بطريق السماع والرواية  
بالمشافهة .

ثانيهما : القواعد النحوية التي صاغها النحاة من استقراء تلك المادة .  
ولقد اقترف النحويون في الأصل المقيس عليه وفي شروط الرواى  
 وعدالته وصحة النص المروى وفصاحة المتكلم به ، فهم لم يقيسوا على

كل مسموع من العرب ، لذا فقد جعلوا المسموع درجات منه ما يقاس عليه ومنه ما يحفظ .

وقد قسم العلماء المسموع عن العرب إلى مطرد وشاذ :

المطرد : وهو المقىس عليه ويعنون به الأطراط في القياس ، والسماع معًا ، فاما المطرد في القياس فهو أن يوافق المقىس عليه قاعدة أصلية كقاعدة رفع الفاعل ، أو فرعية كقواعد الإعلال والإبدال شريطة لا يوجد ما ينافق هذه القواعد ، وأما المطرد سمعا فهو ورود أمثلة كثيرة من كلام العرب للمقىس عليه توافقه بحيث لا يرى قليلاً أو نادراً أو شاذًا وهذا ما ذكره ابن جنى فيما نقله عن السيوطي بقوله : "جعل أهل العرب ما استمر من الكلام في الإعراب ، وغيره من مواضيع الصناعة مطرداً ، وجعلوا ما فارق عليه بقية بابه وإنفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا" <sup>(١)</sup> .

وأما الشاذ فمعنى التفرق والتفرد ، وهو عند الكفوى : ما يكون بخلاف القياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثترته .

الأول : امتناع القياس على الشاذ في الاختيار ، وهذا المسموع الشاذ يتبع فيه السمع الوارد به ، ويحفظ من غير أن بعد أصلاً يقاس عليه غيره .

ويعد العلماء من الشاذ كل ما اطرد سمعاً ، ورواية ، ولكنه شاذ في القياس فلا يبيحون القياس على هذا المسموع ، وإن لم يرد ما يخالفه لتعارضه مع القياس .

<sup>(١)</sup> السيوطي : المزهر في علوم اللغة ولنوعها ٢٢٧/١ - ابن جنى : الخصائص ٩٧/١

الثاني : إباحة القياس على الشاذ في الضرورة ، ويوضح هذا الموقف ما رواه ابن جنی عن أستاده أبي على حين سأله عن جواز القياس على الضرائر المستحدثة التي لم يجوزها للنهاة فقال : كما جاز أن منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا ، وما حظرته عليهم حظرته علينا <sup>(١)</sup> .

---

<sup>(١)</sup> ابن جنی : الخصالص ٣٢٣/٦

## المقياس

وهو الفرع ، ويعنون به ما كان محمولاً على كلام العرب وموجهاً على ما وجهت عليه العبارات الواردة عن العرب ، فإن لم يصح حملها على كلام العرب فلا يجوز التكلم بها .

وكان شعراً لهم قول الخليل وسيبوه " ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم " واعتماداً على رأيهما يمكن أن يقال كل ما نطق به العرب وإن لم يكن في كلام العرب قليلاً له معنى في كلامهم فكيف نجعل مثلاً في كلام قول ليس له في أمثلتهم معنى <sup>(١)</sup> .

وأوجب سيبوه أن يحمل المقياس على المقياس عليه معنى ولقطا لا معنى فقط كما يظهر من قوله : " وقالوا طلحت الناقة " وناقة طلبيح " شبهوها بـ " حصير " لأنها قريبة من معناها " <sup>(٢)</sup> .

ونذكر النحوة للمقياس أنواعاً كثيرة يمكن حصرها تحت صنفين

رئيسين :

أولهما : نصوص محمولة على نصوص .

ثانيهما : أحكام محمولة على أحكام .

## السمع

هو المصدر الأول الذي دون العلماء اللغة بموجبه وهو أصل من أصول النحو ، ودليل من أدلةه وقد أطلق عليه ابن الأثيري التقل ، فقال :

<sup>(١)</sup> ابن جني : لخصائص ٣٥٦/١

<sup>(٢)</sup> سيبوه : الكتاب ٦٥٠/٣

أما النقل فالكلام العربي القصيغ المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد  
القلة إلى حد الكثرة<sup>(١)</sup>.

---

(١) الإغراب في جدل الأعراب ٤٥

## **نظريّة النحو العربي**

### **التأثير والتأثير بين أصول الفقه والنحو**

نشأ اتصال علمي بين النحاة وعلماء أصول الفقه وكان من ثمار هذا الاتصال :

- ١- ظهور علم أصول النحو ، واشتراك أدلته مع أدلة أصول الفقه .
- ٢- استعانة علماء أصول الفقه بأبواب النحو في استخراج الحكم الشرعي من النص .
- ٣-أخذ النحاة بعض أبواب أصول الفقه في مؤلفاتهم ، وإمامهم في هذا وكثيرهم الذي علمهم تلك الصناعة ابن جنی .
- ٤- وجود الكثير من أوجه التشابه في "المنهج" عند علماء الأصول والنحو .
- ٥- اشتغال بعض النحاة بعلم الأصول واحتلال بعض الأصوليين بعلم النحو والانتهاء بالجمع بينهما لإتقان الصناعة في العلمين .

وكان القدماء حين يتحدثون عن العلوم من حيث النضوج والاحتراق يذكرون الفقه والنحو معاً يدلنا على ذلك قوله : وكان بعض المشايخ يقول : العلوم ثلاثة : علم نضج وما احترق وهم علم النحو والأصول وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير ، وعلم نضج وأحترق وهو علم الفقه والحديث ، وحين أراد القدماء تمييز اللغوي من النحوي كانوا يقارنونهما بالمحدث والفقير .

## **أثر النحو في أصول الفقه :-**

عرف علماء أصول الفقه أهمية النحو والدور الذي يؤديه في استخراج الحكم من النص وفي تفسير آى الذكر الحكيم ومعرفة بلاغته وإعجازه ، لذلك برى الإمام الشافعى رضى الله عنه أن من تبحر فى النحو اهتدى إلى كل العلوم وأضاف قوله : " لا أسأل عن مسألة من مسائل الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو " .  
ويمكن بيان بعض التأثيرات التي أحدها النحو في أصول الفقه خلال النقاط الآتية:-

(١) ألف بعض العلماء كتاباً تهدف إلى تخریج الفروع الفقهية على الأصول النحوية ، ومن أولئك الإمام جمال الدين الإسنوى ٧٧٧٢هـ الذي ألف كتاباً عنوانه : " الكوكب الدرى فيما يخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية " .

وقد احتوى كتاب الإسنوى على الكثير من المسائل التي اختلط فيها النحو بالفقه وكان يقدم الأصل النحوى ثم يخرج عليه بعض الأحكام الفقهية .

(٢) برى القدماء أن تحصيل الحكم من النص لا يمكن التوصل إليه إلا من تمرس بدراسة النحو وفهم معانى الألفاظ .

(٣) ولعل من المفيد الإشارة إلى أن النحاة كانوا يقولون إن أصول الفقه مرتبطة بمعرفة العربية لأنها يكتفى على معرفة الكتاب والسنة ولا يعرف معناهما إلا بمعرفة العربية ، ولذلك كان شرطاً في صحة

الاجتهاد وكان النحاة يغفرون حين ترد أسماء الرواد الأوائل في كتاب الأصول والتفاسير

يقول الزمخشري :- " ويرون الكلام في معظم أصول الفقه ومسانثها مبنية على علم الإعراب والتفسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحوين البصريين الكوفيين " <sup>(١)</sup> وقد اطلع الفقهاء على كتب النحو خاصة كتاب سيبويه وكان أبو عمرو الجرمي يقول : " أنا مد ثلاثون ألفي الناس في الفقه من كتاب سيبويه لأن الجرمي صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفيش وكان الرجل ملازمًا للكتاب ونظر في شواهد سيبويه لتوثيقها " .

ويقول ابن فارس إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا أغناه بأحد منهم عنه <sup>(٢)</sup> وابن فارس أحد اللغويين الذين اشتغلوا بأصول الفقه .

(٣) يؤدي الإعراب دوراً مهمًا في استخراج الحكم الشرعي خاصة حين يتعدد الوجه الإعرابي لبعض الكلمات ، وكانت تجري مناقشات بين النحاة وعلماء الأصول في المجالس المختلفة ، وقد نجح النحاة في استخراج الحكم الفقهي إعتماداً على محصولهم من قضايا النحو والصرف فقد قيل للقراء :- " ما تقول في رجل سها في الصلاة ثم سجد سجدة السهو فسها فقال :- لا يجب عليه شيء ، وقيل له : وكيف ذلك ومن أين قلت ؟

<sup>(١)</sup> الزمخشري : شرح المفصل : ١١/١

<sup>(٢)</sup> ابن فارس : الصحاحي في فقه اللغة من ٣٠

قال : أخذته من كتاب التصغير لأن الاسم إذا صغر لا يصغر مرة أخرى ، ولذلك المسألة الفقهية رواية أخرى فقد قيل لأبي عمر الجرمي عما يقول في رجل سها في الصلاة فسجد سجدة سهو فسها .

قال : لا شيء عليه ، قالوا له : من أين قلت ذلك ؟ قال : أخذته من باب الترخيص لأن المرخص لا يرخص .

ونظر الفقهاء في الأساليب النحوية وما تحتمله من التقدير الإعرابي وبنوا عليها بعض المسائل الفقهية ، وأخذ النحاة عنهم ذلك فلما أن إنسانا قال : أقسم أو أحلف أو أشهد ثم حنت وجبت عليه الكفارة لأنه بصرف إلى : أقسم بالله ونحوه إذا كان يلزم المسلم إذا حلف أن يحلف بالله .

وعلى الرغم من أن ابن حزم قد أخذ بالمذهب الظاهري في الفقه فإنه لجأ إلى التقدير في بعض آيات الذكر الحكيم لاستخراج الحكم الفقهي .

ومن أمثلة ذلك توقفه أمام قوله تعالى : " وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغانط أو لامست النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً " <sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> المائدة : ٥

## استعارة النهاة أبواباً من أصول الفقه

استعارة بعض النهاة أبواباً من علم أصول الفقه وعرضوا الموضوعات اللغوية وال نحوية في ضوئها ، وأخذوا بعض العناوين الموجودة عند الفقهاء ، وبأى على رأس أولئك ابن جنى في خصائصه لذى عقد باباً عنوانه "باب في الاستحسان" وهو مستعار من مصطلحات أصول الفقه وقبل أن نعرض لما يقصد به نشير إلى أن الاستحسان أحد أدلة الأحكام الشرعية عند الحنفية ومن تعريفاته عند علماء الأصول هو أن يعدل المجتهد عن أن يحكم في المسألة بمثيل ما حكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضى العدول عن الأول .

وجماع الامتحسان عند ابن جنى أن علته ضعيفة غير مستحکمة إلا أن فيه ضرباً من الاتساع والتصرف ، ومن أمثلته الحق نون التوكيد باسم الفاعل على نحو ما يحدث مع الفعل المضارع ومن شواهده : أقائلن احضرروا الشهودا .

الحق نون التوكيد باسم الفاعل "قائلة "تشبيهها له بالفعل المضارع قال ابن جنى : "فهذا إذاً استحسان لا عن قوة علة ، و عن استمرار عادة إلا ترك لا تقول : "أقائلن يا زيدون ولا امنطلقن يا رجال . ويستمر ابن جنى في حشد الأمثلة الخاصة بالاستحسان حتى يصل إلى قوله في آخر الباب : "ولا يقام هذا ولا ما قبله ، لأنه لم تستحکم علته ، وإنما خرج تشبيهها وتصرفاً واتساعاً<sup>(١)</sup>" .

<sup>(١)</sup> الخصلص ١٤٥-١٣٤/٦

## **اتباع طرق الفقهاء في ترتيب المادة النحوية**

اتبع بعض النحاة طرق الفقهاء في مؤلفاتهم ونصلوا على ذلك صراحة ويتبين هذا الاتباع في ترتيب المادة النحوية وتصنيفها وتقسيم الكتاب إلى الموضوعات المختلفة ومن أونئك ابن جنى الذي قال في مقدمة **الخصائص** :

"وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين "يقصد البصرة والковفة"<sup>(١)</sup> .  
تعرض لعمل أصول النحو على مذاهب أصول الكلام والفقه "<sup>(٢)</sup> .  
واهتم أبو البركات الأنباري بقضايا الخلاف النحوى بين علماء البصرة والkovفة وجمع المسائل التي كانت مثار نقاش وجدل ورتبتها على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعية وأبى حنيفة ليكون كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف" أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب ،  
وألف على هذا الأسلوب ، لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا  
ألف عليه أحد من الخلف .  
وألف السيوطي كتابة "الأشباه والنظائر" قاصداً أن يسلك بالعربى  
سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون وألقوه من كتب الأشباه والنظائر .

## **المصطلح بين النحو وأصول الفقه**

هناك بعض المصطلحات المشتركة بين أصول الفقه والإعراب أحد

فروع الدرس النحوى .

<sup>(١)</sup> **الخصائص** : ٢/١

ونود أن نشير إلى أن بعض الأعراب لم يكونوا ليعرفوا ذلك المصطلحات المتداولة على السنة النبوة وفي مؤلفاتهم لأن نطقهم للعربية مبني على السلبية والمفطرة التي جبلوا عليها وعرفوا بعض المصطلحات بمعناها اللغوي لا بمعناها الاصطلاحي ، يدل على ذلك ما يرويه الأصمسي من أنه قال لأعرابي أتنهزم إسرائيل ؟ فرد قائلاً إنـ إذا لـ رجل سوء .

قال الأصمي : أفتخر فلسطين ، فرد قائلًا إني إذا لقى  
الأعرابي لم ينزله من الهمز . إلا معناه اللغوي وهو ذكر العيب ، وقد برأ  
الأعرابي نفسه من هذه التفاصية ، لأنه ليس رجل سوء .

ولا يدرك أيضًا من الجر إلا معناه اللغوي وهو الجنب أو الشد فهو لا يستطيع جر فلسطين ، لأنه ليس رجلًا قويًا ، أما المعنيان الاصطلاحيان وهما وضع همزة تحت ألف إسرائيل ووضع كسرة تحت نون " فلسطين " وصرفها فلا يخطران على بال الأعرابي .

وليس مصطلحات النحو فقط هي التي كان يجعلها بعض الأعراب وإنما كانوا لا يدركون مصطلحات علم العروض ، وقد بذل ابن جنى جهداً كبيراً لكي يعرف أبا عبد الله الشجاعي المقصود بـ "الإقراء" في الشعر : وهناك بعض المصطلحات المشتركة بين النحو وأصول الفقه ، وقد أخذها النحاة من الأصوليين .

المصطلح الأول : " النسخ " :

معنى النسخ في اللغة الإزالة قال تعالى : " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " والأية الثانية ناسخة والأولى منسوخة،

والعرب تقول : نسخت الشمس الظل أى أزالته ، والمعنى أذهب الظل  
وحلت محله ، ويقال نسخ الشيب الشباب .

والنسخ في اصطلاح علماء الأصول هو رفع الشارع حكمًا شرعاً  
بدليل شرعي وهو جائز عقلاً وواقع ممعاً في شرائع ينسخ اللاحق منها  
السابق وفي شريعة واحدة ومثاله أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقام  
يستقبل بيت المقدس في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة ثمانية عشر  
شهرًا ثم نسخ ذلك بطلب التوجه إلى الكعبة المشرفة ، قال تعالى : " قد  
ذرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك شطر  
المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطراً " <sup>(١)</sup> .  
والتواسخ جمع ناسخ وهي عبارة عن أفعال وحرروف فالأفعال كان  
ـ وأخواتها والحرروف " إن " وأخواتها ، و " لا " النافية للجنس والحرروف  
ـ التي تشبه ليس .

ورأى النحاة أن المبدأ والخبر مرفوعان ، وأن دخول " كان " و  
ـ " إن " و " ظن " عليهما تغير من الرفع ، فأطلقوا عليهما كلمة " التواسخ "  
ـ وأطلقوا عليه اصطلاح " النسخ " على هذا العمل لما فيه من رفع حكم وإيداع  
ـ آخر به .

#### المصطلح الثاني : التعليق :

ـ وقد أخذه النحاة عن الفقهاء : فالمرأة المعلقة عندهم هي التي فقدت  
ـ زوجها أو التي طلقها زوجها ولم تستوف بعد عدة النكاح فلا هي متزوجة  
ـ ولا تستطيع أن تتزوج في الوقت نفسه فهي معلقة .

<sup>(١)</sup> البقرة : ١٤٤

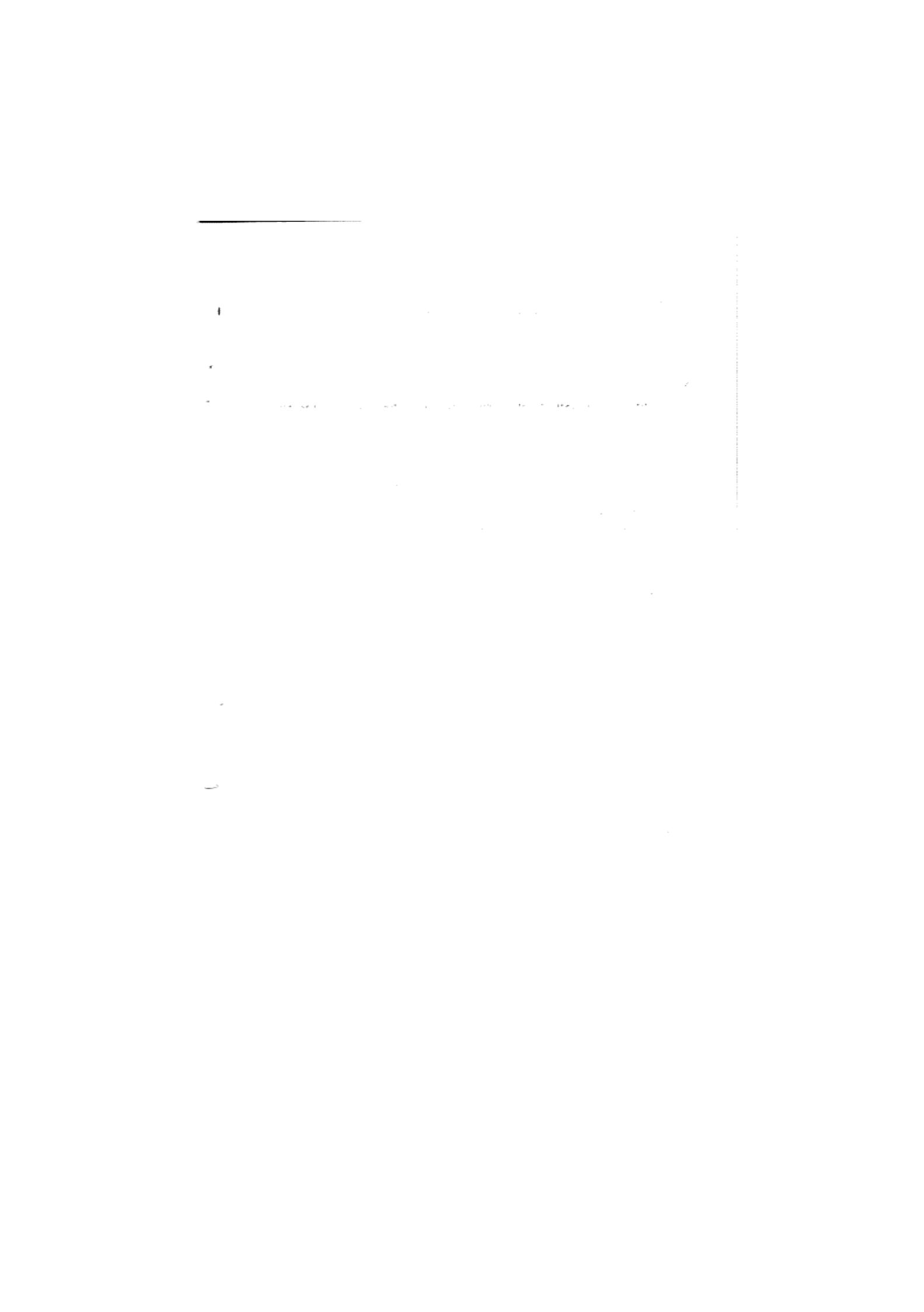
قال تعالى : " ولن تستطعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل العيل فتذروها كالمعلقة " <sup>(١)</sup> هذا المعنى أخذه النحاة في باب أفعال القلوب " فكما أن الزوج يكون موجوداً إلا أن زوجته لا تتمتع بحقوق الزوجية ، كذلك العامل يكون موجوداً ولكنه لا يؤثر في المعمول ، إذ إن التعليق في هذا الباب هو إبطال عمل " ظن " وأخواتها في اللفظ دون التقدير لاعتراض ماله صدر الكلام بينها وبين معموليها نحو " علمت زيد فاضل " فإن " زيد فاضل " حقه النصب ولكن العامل ملغى في اللفظ عامل في الحكم فهو عامل لا عامل فضمي معلقاً أخذـاً من المرأة المعلقة التي لا هي متزوجة ولا مطلقة .

<sup>(١)</sup> النساء : ١٢٩

## **التأثير والتأثر بين علم الكلام والنحو**

بعد الاحتكاك بين علماء النحو وأصول الفقه وعلم الكلام من الأمور الثانية في تاريخ الفكر الإسلامي ، وكان الإمام أبو حنيفة يطلق على علم الكلام اسم "الفقه الأكبر" ، وقد وجدت التأثيرات الكلامية طريقها إلى التفكير النحوي عند القدماء خاصة أوائل الذين اتبعوا المذهب الاعتزالي ، وقد استغل بعض علماء الكلام التأويل الإعرابي والتقدير النحوي في تأييد مذاهبهم الكلامية ومعتقداتهم الدينية .

يرى بعض علماء اللغة أن علم النحو أقرب إلى علم المتكلمين منها إلى الفقهاء ، ويساعد البحث في التأثير والتأثر بين النحو وعلم الكلام في التعرف على الإطار المنهجي للتفكير النحوي عند القدماء .



**النظرية النحوية  
المعاصرة**



## النظريّة النحوية المعاصرة

### أ - التاريخ والأعلام

اتصل علماء اللغة بعلم اللغة الحديث ومناهجه وقد بدأت هذه المحاولات على شكل إصلاح وتبسيير في التأليف النحوى دون الاقتراب من الأصول النظرية والمنهجية . وكانت دروس النحو قد استقرت في الأزهر مخصوصة في إلئار الشروح والمدون ، وكانت قيمة أى مؤلف في النحو تتركز في إحاطته واستماله على كل تفاصيل الخلاف بين النحاة مثل حاشية الصبان على شرح الأشموني ، كما قام بعض علماء الأزهر بوضع شروح علمية مختصرة مثل الشيخ حسن العطار أستاذ رفاعة الطهطاوى كما تولى بعضهم أيضاً شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى وشرح شواهد شدور الذهب للفيومى .

وظل اهتمام علماء النحو في الأزهر مخصوصاً داخل هذه الدائرة ، ومع ذلك فقد جاءت المحاولة الأولى لعرض النحو العربي عرضاً حديثاً بعيداً عن هذه المدون والشروح على يد عالم من علماء الأزهر هو رفاعة الطهطاوى الذى ألف أول كتاب يعرض للنحو العربي عرضاً مختلفاً عن طريقة المدون والشروح ، وسمى كتابه هذا : "التحفة المكتبة لنقريب اللغة العربية" .

وقد ألف رفاعة هذا الكتاب فيما يبدو على نمط مؤلفات الفرنسيين في النحو التي أعجب بها أثناء بعثته إلى فرنسا فخرج فيه على طريقة معاصريه من علماء الأزهر في الشروح والحواشى والتعليقات والتقريرات

فجاء الكتاب بسيط العبارة سهل العرض ليس له متن أو شرح كما استخدم فيه لأول مرة الجداول الإيضاحية .

وبذلك بدأ رفاعة ما يسمى بحركة إصلاح الكتاب النحوي في العصر الحديث ، والمقصود بها تخلص الكتب النحوية من العبارات الغامضة والاختلافات النحوية والشروح الجزئية ، وإعادة صياغتها بأسلوب سهل واضح يأملة من اللغة العربية المستعملة ، ولكن ذلك كله كان يتم في إطار النظرية النحوية التقليدية لا يخرج عنها قيد أدنى . وألف هذا النوع من الكتب تياراً ظل متقدماً حتى يومنا هذا ، فما زالت تظهر كتبه تحت أسماء وعناوين مختلفة مثل : النحو الواضح ، والنحو الوافي ، والنحو الوظيفي ، والتطبيق النحوي ، والنحو المصنفي ، والنحو الميسر ... الخ . وتقدم هذه الكتب لطلاب المدارس والجامعات لغاية تعليمية خالصة ، وكلها لا تزيد على التغیر في الترتيب والأسلوب ، ولكنها لا تمس الجوهر أو تقترب منه .

ولكن حركة الإصلاح والتيسير لم تقف عند حدود الكتاب النحوي .  
محاولة أ / إبراهيم مصطفى " إحياء النحو " :

أقام الأستاذ إبراهيم مصطفى محاولة في إحياء النحو على أصلين

هـما :

(١) أن النحو هو قانون تأليف الكلام وليس دراسة أحوال أو آخر الكلم إعراباً وبناء فحسب ، لأن تحديد النحو في المفهوم الأخير تضيق شديد لدائرة البحث في النحو وتقصير لمداه وحصر له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله ، ولهذا يطالب بدرس واف لأحكام نظم الكلام

وأسرار تأليف العبارات بما لها من صلة بالمعنى ، كما يطالب بوجه خاص بدراسة طرق الإثبات والمعنى والزمن والتقديم والتأخير .

(٢) استبعد الفلسفة الكلامية كما تتمثل في نظرية العامل وما يترتب عليها من اختلاف العوامل والمعمولات مما أدى إلى التوغل في التعليل على حساب المعنى وبناء على هذين الأصلين أخذ بعيد تصنيف أبواب النحو وفق المبادئ الآتية:

١- ليست حركات الإعراب حكماً لفظياً وأثراً يجلبه العامل فحسب وإنما هي دوال على المعانى .

٢- للإعراب في العربية علمنا بما الضمة والكسرة ، وأما الضمة فهي علم الإسناد ودليل أن الكلمة مرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها ، وأما الكسرة فإنها علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها ، وأما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة نظير السكون في اللغة العامية .

فالإعراب إذن للضمة والكسرة وليس بقية من مقطع بل بما من عمل المتكلم ليدل بهما على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام . وقد ترتب على هذا أن جمع فى باب واحد ما فرقه النهاية فى أبواب متعددة وانتهى إلى أن المبتدأ و الفاعل ونائب الفاعل باب واحد لأن كلاً منهما مستند إليه .

(٣) لا توجد علامات أصلية وعلامات فرعية للإعراب فلا حاجة إلى لبوب فرض لها النهاة استقلالاً نتيجة لذلك حيث وضعوا باباً للأسماء السنتة وباباً لجمع المذكر و باباً لجمع المؤنث و باباً لما لا يتصرف . والرأى عنده أن الأسماء السنتة وجمع المذكر السالم لا تترتب بالحروف وإنما تعرب بحركات طويلة تكتب على صورة الحرف ، كما رأى أن جمع المؤنث السالم وما لا يتصرف يجريان على الأصل في الإعراب ، ولكنهم أغفلوا النصب في الأول حملاً على جمع المذكر السالم الذي أغفلوا فيه الفتح وأغفلوا إعراب الثاني بالكسرة حتى لا يختلط في حالة الكسر بال مضارف إلى ياء المتكلّم إذا حذفت ياؤه وحذفها كثير في لغة العرب .

(٤) للتتابع عنده هي النعت والبدل لا غير ، ويدخل في النعت خبر المبتدأ لأن الخبر تابع لمبتدأ كما تتبع الصفة الموصوف ، أما النعت السببي فالالأصل فيه أن يكون مبتدأ ولكنه جرى نعتاً من قبيل الاتباع على المجاورة كالاتباع في قراءة بعضهم " الحمد لله " بكسر الدال اتباعاً لكسرة اللام وكالاتباع في قولهم " هذا حجر ضب خرب " بكسر رب اتباعاً لكسر ضب لوقوعه في جواره .  
ويدخل في البدل عنده التوكيد وعطاف البيان ، أما العطف فليس نوعاً من التتابع لأن إعراب المعطوف هو الأصل لا على الاتباع ، ومن ثم فإن العطف يشارك المعطوف عليه في الحكم ولذا يستحق أن يشاركه في الإعراب .

(٥) التتوين عالمة التكير وخياله عالمة التعريف ، فإذا عدنا المعرف لم تجد التتوين يدخل واحداً منها إلا العلم وإن كان الأصل فيه ألا ينون وإنما يلحقه التتوين إذا كان فيه معنى التكير وأريد الإشارة إليه ، وبناء على ذلك فلا محل لما لا ينصرف الذي قدمه النحاة من البحث في العلل الموجبة عدم الصرف .

وهذه هي الأصول والمبادئ التي أقام عليها الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمة الله إحياء النحو ، وربما كان إحياءه بمعنى من المعانى من حيث طرحه لفضيلة اللغة والنحو ، والدعوة إلى البحث فيها بعدها عن الفلسفة والعلل المنطقية وكذلك من حيث اكتشاف أوجه القصور في النظرية اللغوية التقليدية التي اكتسبت هيبة واحتراماً بمرور الزمن ، ولكن هذا الإحياء رغم هذه الدعوة الواضحة إلى إعادة النظر في درس العربية انتهى إلى الإبقاء على الجانب التعليمي وحده ومنهج البحث في الفقه وهذا كله لا يدخل في باب التجديد الذي يقوم على أصول جديدة ومنهج جديد ونظريّة جديدة ، وهو ما لم يعقب عن د/ طه حسين في تقديميه للكتاب .

والذى لا شك فيه أن صاحب إحياء النحو قد استفاد كثيراً من آراء الفراء وابن مضاء القرطبي فيما ذهب إليه من حمل المبني على المعنى أو إلغاء نظرية العامل ، بل لقد استفاد من آراء غيرهما من النحاة حتى في قوله بدلالة الحركات على المعانى ، فهو رأى قديم أشار إليه أكثر النحاة عندما قالوا أن الرفع عالمة الفاعلية أو العمدة .

وأن النصب عالمة المفهولية أو الفضلات ، والجر عالمة الإضافة ، بل إن قوله إن الفتحة هي الحركة المستحبة عند العرب وليس عالمة

إعراب يتعارض مع فكرته الأساسية التي أقام عليها كتابه وهي أن علامات الإعراب دوال على المعانى ، وكون الفتحة حركة مستحبة لا ينفي عنها الدلالة ، فضلاً عن أن المستحب وغير المستحب - لا يثبت أمام النظر العلمى قليلاً فى النظم اللغوى ما يستحب وما يكره ، ولو كان ذلك صحيحاً فلماذا وفى العرب بالسكون على الكلمات التى تنتهى بالفتحة وكان أولى بهم أن يتزموا بها استماعاً بما يحبون ولعلة أقرب إلى الموضوعية ما قاله القدماء من أن النصب علامة على التكملة أو الفضلة . بل لعل أهم من ذلك كله أن ننظر إلى إحياء النحو من منظور لم يلتفت إليه أحد من الذين نقدوه عند ظهوره أو بعد ظهوره بسنوات ، وهو مدى ما استفاد المؤلف من مناهج البحث اللغوى الحديث التى سمعها في الجامعة المصرية القديمة والجديدة من المصريين والمستشرقين ، وكان النحو كما يقول طه حسين في مقدمة الكتاب من أشد الموضوعات خطراً وأكثرها جرياناً بما بينه وبين المؤلف حتى أنهما ضاقاً بأصوله القديمة منذ عهد الأزهر وأخذ ينكران هذه الأصول أيام الجامعة القديمة كما أخذوا يلتسان له أصولاً جديدة منذ أن التقى في الجامعة الجديدة .

لم تؤثر في عملهم إلا قليل ولعل السبب في ذلك هو شدة ارتباط أغلب دعاء الأحياء بالتقاليد اللغوية القديمة كما عرفوها وتعلموها سواء في الأزهر أم دار العلوم ، حتى أنهم كانوا وهم في أشد موافقهم نقدياً للقديم مرتبطين بأصوله ومبادئه ولم يفكروا في وضع غيرها أو استبدالها على Heidi مما يسمعون أو يقرأون من مناهج جديدة في دراسة اللغة .

وقد بدأت أولى محاولات الإحياء هذه بظهور كتاب "إحياء النحو" للأستاذ إبراهيم مصطفى عام ١٩٣٧ الذي حرك قضية إصلاح النحو وتبسيطه بشدة فتالت من بعده عدة محاولات أخرى من أهمها وزارة المعارف ١٣٣٨م ، ويعقوب عبد النبي (١٩٤٥-٤١) ، وأمين الخولي ١٩٤٣ ، شوقي ضيف ١٩٤٧ ، عبد المتعال الصعيدي ١٩٤٧ ، ومحمد احمد برانق ١٩٥٨ ، ود. محمد مخزومي ١٩٦٦م ، د/ محمد كامل حسين ١٩٧٢ ، آخر هذه المحاولات كان الدكتور / شوقي ضيف ١٩٨٢م .

بل اتصلت بها وواكبتها حركة أخرى نادت بإحياء النحو عن طريق إعادة النظر في أصوله ومبادئه ، ظهرت آثار هذه الحركة في صورة مؤلفات نحوية تختلف عن حركة إصلاح الكتاب النحوي في ظاهرها ودعواها لا غير ، ولكنها في مجموعها تعكس إدراكاً حقيقياً لوظيفة في الاتصال والتعبير . ومن ثم كانت حركة إحياء وبعد لجانب الحق الذي ينبغي أن يستعمل من قواعد النحو ، ولكنها رغم ذلك لم تكن معارضة للنظرية النحوية التقليدية وإنما كانت وثيقة الاتصال بأصولها ومبادئها ، رغم أن بعض دعائهما أدعى التجديد ، ولم يتمسك بمبدأ الإحياء الذي كان أكثر دقة ودلالة على ما يفعلون .

وكان كلا الاتجاهين - أعني تجديد الكتاب النحوي وإحياء النحو - بعيدين كل البعد عن علم اللغة الحديث ومناهجه ، رغم أن بعض أصحاب دعوى الإحياء التجديد كانوا يعملون في الجامعة ، وقد ترامت إلى أسمائهم بلا شك أصداء عن علم اللغة التاريخي المقارن ، بل ربما أيضنا أصداء عن علم اللغة الوصفي إذ كانت الجامعة قد بدأت في استدعاء بعض

الممترضين الذين أخذوا في تدريس العربية ودراستها وفق هذين المنهجين إلا أن هذه المناهج العلمية للحديثة ، والتي لم تعرفها العربية من قبل .

## ٢- محاولة د. مهدي المخزومي :

تتمثل هذه المحاولة في كتابين أخرجهما الواحد تلو الآخر .

أما الكتاب الأول فهو بعنوان "في النحو العربي نقد وتجربة " ١٩٦٤ ، وأما الكتاب الثاني فيعنوان "في النحو العربي قواعد وتطبيقات على المنهج العلمي الحديث " ١٩٦٦ .

والكتاب الأول يمثل الأصول النظرية ، والكتاب الثاني يمثل التطبيق على هذه الأصول ، والذي بهما في الكتابين معاً هو "المنهج العلمي الحديث" الذي حرص المؤلف على أن يشير إليه في صدر الكتاب الثاني ، أي أن الكتاب يحتوى على المبادئ النظرية لهذا المنهج العلمي الحديث ، حيث تجد في مدخل الكتاب ما يشير إلى بعض جوانب هذا المنهج والتي تتمثل فيما يلى :

- ١- ليس من وظيفة النحو الذي يريد أن يعالج نحو لغة من اللغات أن يفرض على المتكلمين قاعدة أو يخطئ لهم أسلوباً .
- ٢- النحو دراسة وصفية تطبيقية .
- ٣- النحو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور .
- ٤- النحو متتطور أبداً لأن اللغة متطرورة أبداً .
- ٥- النحو الحق هو الذي يجري وراء اللغة ويتبع مسیرتها .

٦- وظيفة النحوى أن يسجل لنا ملاحظاته ونتائج اختياراته فى صورة أصول وقواعد تعللها عليه طبيعة اللغة .

٧- النحو يستند إلى استقراء واع .

٨- ليس للنحوى أن يقلمف ويبنى على حكم من أحكام العقل .

٩- اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له المجتمع .

وهي مبادئ تصل فى كثير من جوانبها بالدراسة الوصفية للغة ، بل هي أهم مبادئ الدراسة الوصفية وأبعدها أثراً في توجيه دراسة اللغة حديثاً ، وبناء على هذه المبادئ يحكم على التراث اللغوى العربى ودراسة اللغة العربية قديماً بأنها تدرس إلى اليوم على تلك الأسس التى اجتهد القدماء فى بنائها وفي مقدمتهم الفراهيدى والفراء ، ولم يضف إليها جديداً سوى مناقشات مدرسية لا يستفاد منها فى المباحث اللغوية الجديدة .

ومع ذلك فهو لا يقبل المفهوم الشامل للنحو كما كان عند الخليل والفراء . ويرى أن ما جاء به الخليل والفراء ليس من النحو الحالص ، وإنما كان درسًا شاملًا لفروع الدراسة التحوية وللغوية ، وكذلك لم يكن كتاب سيبويه عنده كتاباً فى النحو الحالص ولكنه كان يتناول بالدرس مسائل لغوية وصرفية بالإضافة إلى مسائل النحو .

من ثم فهو يشعر بحاجة العربية الماسة إلى نحو جديد بدلاً من هذه الدراسة الشاملة التي قام بها الخليل والفراء يقول :

لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى نحو جديد يخلو ما علىق به فى تاريخه الويل من شوائب ليست منه ، مدروس وفق منهج يلائمه ، مبرا

من هذه التعليلات الفلسفية التي أصطنعها القوم والتي أنت على حيوية هذا  
الدرس اللغوي<sup>(١)</sup> .

فما هو هذا النهج الذي أصبحت الحاجة ماسة إليه ؟

يقول : أصبحت الحاجة ماسة إلى تفريق الموضوعات التي تناولها  
الخليل والفراء ومن عاصرهما مختلطة متشابكة .. وأن ينبرى لكل  
موضوع دارسون متخصصون يتناول كل فريق منهم موضوعه بإحاطة  
وعمق ، ولكن يتعلمون الدارسون جميعاً في تقديم ما يحصلون عليه ليتم  
للدارسين بحث لغوى ناضج .

وعلى الرغم من هذه الرؤية الواضحة للصلة بين فروع الدراسة  
اللغوية وعلاقتها المتشابكة والتي تتناقض مع رفضه السالق لفكرة الدراسة  
اللغوية الشاملة .

غير أن هذا الاضطراب بين الوصفية والقواعد المعيارية لا يحول  
دون إبركه لمستويات التحليل اللغوى التي يحددها في ثلاثة مستويات :  
١- الدراسة الصوتية هي الدراسة اللغوية الأولى التي يعني بها اللغويون،  
وموضوعها هو الصوت اللغوى من حيث مخرجيه وصفته وامتزاجه  
بغيره من الأصوات ، وبها يعرف الدارس كثيراً من الظواهر اللغوية  
التي تدرس في كتب النحو من إيدال وإعلال وإدغام إلى غيرها من  
ظواهر لغوية لا تفهم قهباً مستوى إلا إذا أخذت الدراسة الصوتية لها  
مكاناً في درس العربية .

<sup>(١)</sup> د. مهدى المخزومى فى النحو العربى ص ٢٧

٢- موضوع الدرس الصرفي هو الكلمة المفردة من حيث بنيتها ووزنها وشتقاقها وتجرياتها ، وهو يلى الدراسة الصوتية ويترتب عليها طبيعة .

٣- موضوع الدرس التحوى هو الكلمة مولفة مع غيرها ، أو هو الجملة ، وتدرس فيه من حيث نوعها وما يطرأ على أركانها من تقديم وتأخير وذكر وحذف استئهام ونفي توكيده وكل هذا يرتبط بموضوع الدرس التحوى .

٤- أما المستوى الدلائلي فلا يحدد موضوعه أو يشير إليه ، وإنما يرى أن علماء المعانى هم الذين استأثرروا بالدرس التحوى الحق ، بل هم النحاة الحقيقيون الذين دفعوا بالدرس التحوى إلى الأمام ، وقدموا لدارسين نتائج طيبة خلقة بأن يستفاد منها .

هذا هو المفهوم النظري للمنهج العلمي الحديث فى دراسة اللغة عند الدكتور مهدى المخزومى ، وهو مفهوم إذا نظرنا إليه بصورة عامة وجذناه يقترب إلى حد ما من تصور علماء اللغة المحدثين للدراسة العلمية للغة ، وخاصة فيما يتعلق بطبيعة العلاقات بين مستويات التحليل اللغوى وتدخلها ، وكذا طبيعة كل مستوى منها وموضوعه ، وذلك بغض النظر عن إغفاله للمستوى الدلائلى وإشارته الخامضة إلى علم المعانى مما يدل على أن الدكتور المخزومى قد اطلع بصورة أو بأخرى على الفكر اللغوى الحديث لأن علماء العربية القدماء رغم درسهم للجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلائلية لم يكن لديهم هذا التصور الواضح لمنهج

الدراسة اللغوية ، كما يشير إليه الدكتور المخزومي على الأقل على المستوى النظري .

غير أن المنهج العلمي الحديث الذي أشار إليه الدكتور المخزومي يرى أن النحو يتصل بالمفهوم الأول ، أي بالمعنى التجريدي الوصفي دون الجانب التطبيقي الذي حرص المؤلف على أن يقرنه دائمًا بالنحو ، ومعنى هذا أن مفهوم النحو عنده لا يختلف عن مفهوم القماماء ، رغم أن علم اللغة الحديث يفرق بينهما تفريقاً واضحاً ، وهو ينقد في نفس الوقت هذا المفهوم الشامل عند القدماء ، ويعزوه لجهل القوم بموضوع دراستهم .

ويعرف د.مهدى المخزومى الجملة تعريفاً مجرداً في أي لغة من اللغات بعدة تعريفات :

- ١- الجملة هي الصورة الصغرى للكلام المفید .
- ٢- هي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزؤها في ذهنه .
- ٣- الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع .
- ٤- الجملة هي الوحدة الكلامية الصغرى .

ويبدو أنه يفرق بين مفهوم الجملة ومفهوم الجملة التامة لأنه خلال هذه التعريفات يحدد ما يسميه بالجملة التامة بأنها تلك التي تغير عن أبسط الصور الذهنية التامة التي يصح السكوت عليها ، ويرى أنها تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية هي :

- ١- المسند إليه أو المتحدث عنه و المبني عليه .
- ٢- المسند الذي يبني عليه المسند إليه ، ويتحدث به عنه .

### ٣- الإسناد ، أو ارتباط المسند بالمسند إليه .

ونجد عند الدكتور / مهدي المخزومي عدة معايير اختلط بعضها ببعض تتصل أحياناً بطول الجملة وقصرها وأحياناً تتصل بدلالات الجملة على المعنى التام الذي يحسن السكوت عليه ، أو هي الصورة الذهنية وأحياناً أخرى تتصل بالتركيب وعناصره ووحداته مثل المسند والمسند إليه والإسناد ولكن القاسم المشترك الذي يجمع بين هذه المعايير جميعاً هو أنها ليست معايير لغوية وإنما هي معايير فلسفية ومنطقية تستخدم ألفاظاً ليست من ألفاظ النحوين ولا أوضاعهم كما يقول الزجاجي .

فالمعنى التام أو الكلام المفيد شيء خارج عن اللغة يقرر العقل والمنطق لأن المعنى المفید هو علاقة ذهنية تربط بين صوت معين أو مجموعة من الأصوات وشيء خارج عن اللغة ماديًّا كان أو معنوًّا ، أو هو تصور ذهني لا يتصل باللغة إلا كما يتصل الرمز بالرموز إليه .

أما المعيار الثاني الذي يستند إليه في تحديد الجملة فهو معيار الطول والقصر أي التركيب الطولي أو الأفقي لجملة ، فيرى أن الجملة هي الوحدة الكلامية الصغرى أو هي أقل قدر من الكلم يفيد السامع معنى مستقلاً .

وأما المعيار الثالث الذي يستخدمه د. المخزومي في تحديد الجملة فهو التركيب الذي يتتألف من مسند ومسند إليه وعلاقة الإسناد ، وهو معيار أيضاً لا يتصل باللغة وإنما يتصل بفكرة الإسناد وأركانه أي بالتحديد المنطقي للجملة كما يتصل أيضاً بالدراسة النحوية التقليدية .

### ٣-محاولة د. شوقي ضيف "تجديد النحو العربي"

كان للدكتور شوقي ضيف دعوة ورأى عن حاجة النحو العربي إلى تصنیف جديد بناء على نظرية ابن مضاء القرطبي عندما قام بنشر كتاب الرد على النحاة لأول مرة ١٩٤٧م حيث قدم الأصول والمبادئ التي ينبغي إعادة تصنیف النحو العربي على أساسها، وهي عنده تتمثل في أمرين هما :

- ١- الاستغناء عن نظرية العامل .
- ٢- منع التأويل والتقدیر .

ولم يقحم د. شوقي ضيف نفسه في دعوى تطبيق المنهج العلمي الحديث في دراسة اللغة ، وإنما حدد عمله في إطار النظرية النحوية التقليدية ولكن مع إعادة تنسيق وتصنیف أبواب النحو وهو يعتمد في إعادة التنسيق والتصنیف على الأسس التالية :

- ١- إلغاء الإعراب التقديري في المفردات مقصورة ومنقوصة ومضافة إلى باء المتكلّم ، ومبنيّة .
- ٢- عدم إعراب كلمة لا يؤدي إعرابها إلى فائدة في صحة نطقها .
- ٣- وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المطلق ، والمفعول معه وبالحال تجمع صور التعبير في كل منها جمعاً وافياً .
- ٤- حذف زوايا كثيرة في أبواب نحوية تعرض دون حاجة إليها .
- ٥- زيادة إضافات لأبواب ضرورية كانت إضافات فرعية لتتمثل الصياغة العربية وأوضاعها تمهلاً دقيقاً .

وبناء على ذلك يقسم الكتاب إلى ستة أقسام ، قسمان للصرف ن وأربعة أقسام للنحو ، وقد بدأ القسم الأول من الصرف بدراسة لأصوات

اللغة العربية فيما أسماء نطق الكلمة التي يحدد أقسامها كما حدها القدماء إلى اسم و فعل و حرف ، و يعتمد على لمعيار الدلالي في تحديد أقسام الكلام ثم ينتقل إلى أصوات العربية غير أنه لا يستعمل مصطلح الصوت مطلقا . وإنما يستعمل مصطلح الحرف للدلالة على الصوت وهو مصطلح تقليدي أدى إلى كثير من اللبس ، وقد أخذ من الدراسة الصوتية عند علماء التجويد أساساً لعرض و تصنيف أصوات اللغة العربية .

ثم يضيف الصوامت العربية مقتفياً تصنيف القدماء من حيث موضع النطق و صفتة ، والصوامات تتقسم عنده إلى الحركات و يضيف إليها التشديد والتقويم ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى همزى القطع والوصل ثم الإدغام فالإيدال .

وبذلك تنتهي دراسة الأصوات عنده وهي دراسة كافية للتدليل على أن تجديد الدكتور شوقي ضيف يتم في إطار وصف القدماء لقواعد اللغة العربية غير أنها نلحظ أنه قد خالف القدماء في وضع الدراسة الصوتية والصرفية في مقدمة الدراسة النحوية ، في حين أن القدماء كانوا يضعونها بعد الدراسة النحوية أو في مقدمة الدراسة الصرفية ، كما استخدم الجداول في بيان تصرير الأفعال بأنواعها المختلفة مع الضمائر . وإذا كان رفاعة الطهطاوى هو أول من استخدم الجداول الإيضاحية في كتب النحو العربي فإن وضع الدراسة الصوتية قبل الدراسة النحوية هو أثر من آثار الاطلاع على الدراسات اللغوية الحديثة التي لا نجد لها أثراً يذكر في كتاب تجديد النحو .

فالمصطلحات تقليدية والتقسيمات كما هي عند البصريين وصور الإعراب التحوية بقيت كما هي إلا من بعض تعديلات تم فيها إدماج بعض الأبواب في بعض ، وفيما عدا ذلك لا نجد تجديداً يقوم على نظرية جديدة أو منهج يخالف منهج القدماء .

التجديد والتيسير والإصلاح مصطلحات أطلق她 منذ العقد الثالث من هذا القرن ويقصد بها أمراً هما :

- ١- من الناحية النظرية إعادة النظر في وصف القدماء للنظام التحوي للغة العربية دون بقية النظم اللغوية الأخرى الصوتية والصرفية والدلالية .
- ٢- من الناحية العملية إعادة تصنيف القواعد التحوية في إطار وصف القدماء لها وبمصطلحاتهم وتقسيماتهم .

ولم يدع أحد من تصدوا لهذا العمل تطبيق منهج علم اللغة الحديث يستوى في ذلك رائد حركة التيسير والإصلاح الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمة الله عليه ، وأخر ممثليها د. شوقى ضيف .

كما أن معظم جهود حركة التيسير والإصلاح انصببت على الجانب التعليمي العملى دون الجانب المنهجي النظري ، فلم يفكر واحد منهم فى استبدال النموذج القديم بنموذج جديد يقوم على ستقراء جديد للغة العربية المعاصرة ، حتى عندما قالوا بالغاء نظرية العامل وهي أصل من أصول القدماء استندوا في ذلك إلى دعوة ابن مضاء القرطبي ولكن كان ذلك أيضاً على مستوى النظر دون التطبيق ، حيث تعاملوا جميعاً مع آثار نظرية العامل وهم في الوقت نفسه يرفضونها فقد أجمعوا مثلاً على أن الأفعال تنقسم إلى لازم ومتعد وهذا التقسيم للأفعال يقوم على النظر إلى الأفعال

من حيث هي عوامل تتعدى إلى معمولات . ومثل ذلك أيضاً في تعاملهم مع حركات الإعراب التي حاولوا أن يلتسموا لها تفسيراً غير التفسير الذي قدمه القدماء من أنها أثر بجلبه العامل فسلموا بوجودها ولكنهم حاولوا البحث عن دلالة لها . ومثل ذلك أيضاً في استخدام المصطلحات النحوية الصرفية بل إنهم عندما حاولوا أن يتعاملوا مع علم الأصوات وهو من الطلوم التي شاعت في محاضرات المستشرقين وغيرهم في الجامعة المصرية للقديمة والجديدة لم يستفيدوا شيئاً من مفاهيم هذا العلم الحديث وحصروا أنفسهم في نطاق تصنيف القدماء للأصوات العربية بكل ما فيها من غموض أحياناً وبعض الأخطاء أحياناً أخرى .

وقد نشأ داخل هذه الحركة تيار النظر إلى اللغة العربية وعلاقتها بالحضارة الحديثة والتقدم ويتمثل هذا التيار في الدعوة إلى تطوير اللغة الفصحى أحياناً ، أو اصطدام العامية بدلاً منها أحياناً أخرى .

ويمثل هذا التيار سلامة موسى والدكتور محمد كامل حسين ، أما الأول فكان من دعاة العامية الذين دعوا إلى إحلالها محل الفصحى ، أو إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في الكتابة وهي دعوة سبقت إليها عدد من العرب وبعض الأوربيين الذين لا ترقع دعوتهم إلى ذلك عن مستوى الشبهات .

ولكن الضمير القومي والديني رفض التخلص من الفصحى وتتصدى لهذه الدعوة المشبوهة .

أما الدكتور محمد كامل حسين فقد حاول أن يغير من النموذج النحوي التقليدي بناء على الاستعمال اللغوي والمستويات المعاصرة ،

وذلك في كتابه اللغة العربية المعاصرة ١٩٧٦ ، وهو يقسم في هذا الكتاب مستويات العربية إلى ثلاثة مستويات هي :

- ١- الفصحي العالمية : وهي لغة الأدب الرفيع والخطب والمواعظ والحكم .
- ٢- الفصحي المخفة : وهي اللغة الشائعة بين المثقفين وال المتعلمين .
- ٣- العامية المنقحة : وهي تقوم على إحلال وتغيير بعض الأصوات والمفردات وطرق النفي والاستفهام الفصيحة محل ما يقوم مقامها في العامية .
- ٤- العامية الخالصة<sup>(١)</sup> .

وهو يرى أن الفصحي المخفة هي الجديرة بالدراسة دون الفصحي العالمية ، ويتبناها بأن هذه الفصحي المخفة سيسكتب لها الذبوع والانتشار وهكذا نسمع لأول مرة في تاريخ الفكر اللغوي العربي من يدعو إلى وضع نموذج جديد للغة العربية طبقاً لمستوى لغوي غير المستوى الذي حدد القداماء ، وهو ينطلق في هذه الدعوة من الواقع اللغوي ويرى أن تجاهل هذا الواقع عيب من عيوب التفكير اللغوي العربي .

وأن القواعد اللغوية التي وضعها القدماء ليست متساوية في أقدارها ووجوب اتباعها ، فهي على أنواع مختلفة بالنسبة للاستعمال اللغوي المعاصر ، فمنها ما يجب المحافظة عليه ، ومنها ما يحسن اتباعه ، ومنها ما يمكن التساهل في تطبيقه ، ومنها ما لا يقيد الكاتب أو القارئ ، ومنها ما هو مفتعل افتعالاً ولا أصل له في مادة اللغة ، ومنها ما يجب نبذه .

<sup>(١)</sup> د. محمد كامل حسين ، اللغة العربية المعاصرة من ٨٣-٧٠

وهكذا فقد حاول د. محمد كامل حسين أن يصنع نموذجاً جديداً لما أسماه بالفصحي المخففة ويدعو إلى تعلمه ، ويرى أن المنهج الذي ينبغي أن يقوم عليه تعليم هذا المستوى اللغوي يتلزم بالترج من أعلى مرتبة في العامية المنقحة إلى أعلى مرتبة في الفصحي العالمية .

وهذا التدرج يتعلق بسن المتعلم والمرحلة الدراسية التي يمر بها، فتتعلم قواعد هذه الفصحي المخففة ببدأ من العامية المنقحة لأن الأطفال يدخلون المدارس وهم يتحدثون العامية ويستخدمونها بطلاقة ومن ثم ينبغي أن تنقحها تدريجياً سيراً ونوجه الطفل إلى هذا المستوى المنقح من العامية .

أما الفصحي المخففة وهي المستوى الذي يدعو إلى استخدامه ووصف نظامه ، وإشاعة تعليمه وهو يتمثل في النموذج الذي وضعه فيقوم على عدم التمسك بالأعراب إلا في الحالات الواضحة التي لا لبس فيها كما يقوم على إطراح أبواب الفعل واصيغ المصادر وجموع التكسير إلا فيما هو مشهور والعدو عن مطابقة الفعل لفاعل عندما يكون مبنياً وإغفال مخاطبة الرجال والنساء في حالات الجمع وإباحة النطق بالكلمات غير الشائعة بالاصيغ المختلفة ، وأن المعنى هو الذي يحدد الأعراب وغير ذلك من القواعد التفصيلية التي تضمنها هذا النموذج المقترن للفصحي المعاصرة .

وصفوة القول أن حركة التيسير والإصلاح كانت خاضعة خضوعاً تاماً للتفكير اللغوي التقليدي لأسباب عده ، فمعظم من نادى بها قد تعلم في ظل النموذج التقليدي سواء في الأزهر أم دار العلوم ، ومن ثم تمسكوا حتى بعد أن ترامت إلى أسماعهم مبادئ علم اللغة الحديث وأصوله . وأصبح هذا النموذج جزءاً لا يتجرأ من طبيعة التفكير اللغوي عندهم،

ينظرون من خلاله ويفكرون على هدى من أصوله ، ولا يظهر في أعمالهم أى أثر لعلم اللغة إلا بطريق غير مباشر يتمثل في دراسة الأصوات والدعوة إلى استبعاد المعايير المنطقية والفلسفية من الدراسة اللغوية ، وحتى في مثل هذه الدعوات نجد أصداء لها في التراث العربي ، أما هؤلاء الذين دعوا إلى تطبيق منهج علم اللغة الحديث فلم يعرف إلا مظاهر هذا العلم دون أصوله ومبادئه فلم يوجه هذا العلم أية دراسة من دراسات أصحاب التيسير والإصلاح توجيهها حقيقياً وأضحاً .

وهكذا فشلت جميع جهود أصحاب دعوات التيسير والإصلاح سواء على المستوى النظري لم المستوى التطبيقي فلم يستطيعوا إمداد الفكر اللغوي بنموذج جديد طبقاً لأصول جديدة وبالتالي لم يستطيعوا تقديم قواعد معيارية أيسر وأسهل لافتقادهم إلى نظرية جديدة .

قد يكون من الصعب تحديد البدایات الأولى لانتقال الفكر اللغوي الحديث إلى ميدان التفكير اللغوي في مصر والعالم العربي . ولكن البدایات الأولى ترجع إلى بداية الاتصال بالحضارة الغربية في العصر الحديث والتي بدأها رفاعة الطهطاوى فقد أثر في بعض كتبه الاهتمام بدراسة اللغات واللغة الفرنسية أثناء بعثته هناك ودعا إلى انتشار مجمع اللغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي ، كما ظهرت بعض أفكار الدراسة اللغوية الحديثة في مقالات نشرها المقتطف ، وفي كتابات جورجى زيدان الذى نشر فى فترة مبكرة كتابين فى اللغة أحدهما كتاب "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" ١٨٨٦ ، والكتاب الثانى "اللغة العربية كائن حى" . وفي هذين الكتابين حاول أن يعرض شيئاً مما كان متداولاً بين علماء

اللغة في الغرب عن طبيعة اللغة ووظيفتها وطرق تحليلها وأن يستفيد من ذلك في دراسة اللغة العربية وكان يعتمد على الترجمة من كتب المستشرقين وخاصة الألمان منهم .

كما كان لإنشاء الجامعة الأهلية ١٩٠٨م أثر في تداول وإشاعة جانب من الدراسة اللغوية الأولى ، وزاد هذا الاهتمام عقب تولي الدولة أمر الجامعة ١٩٢٥م وارتبط التدريس الحدة حينئذ بعدد من المستشرقين معظمهم من الألمان استند منهم الجامعة للتدرис بها منهم "أوليتمان" وبول كراوس "برجشتر اسر" وقد هؤلاء المستشرقون كتاب المستشرق الألماني "برجشتر اسر" التطور النحوى للغة العربية من أهم الكتب فى الاتجاه التاريخي المقارن .

وقد تميز الجيل الحالى لجيل الرواد بأنه كان من أبناء مدرسة لغوية واحدة ففى دار العلوم كان د. عبد الرحمن أبوب ، و. د. تمام حسان ، و. د. كمال بشر وفي جامعة الإسكندرية كان الدكتور محمود السعراوى ، وكتاب "دراسات نقدية في النحو العربى ١٩٥٧م" للدكتور عبد الرحمن أبوب، فعنوانه يدل على محتواه دلالة مباشرة فهو نقد للتراث النحوى العربى قدم له ناقد قديم للنحو العربى هو الأستاذ إبراهيم مصطفى الذى يرى في عمل المؤلف فجرًا جديداً يحيى بحوث النحو ويعيد إليه سريته الأولى ، وينطلق د. أبوب في نقاده للنحو العربى من تجربة تدريسه له في دار العلوم . وما يلفت النظر في هذا النقد أننا أمام تعليم لا يقف عند حدود نقد التفكير النحوى عند العرب بل يتعداه إلى الثقافة العربية كلها التي وصفها مع لتفكير النحوى "التقليدية" ومن ثم فنحن أمام تفكير نحوى تقليدى نعرفه ،

ولون آخر من التفكير النحوي غير التقليدي لا نعرفه . ووصف علماء اللغة العربية القدماء والنحو العربي بمصطلح " التقليدية " هو تبني لوجهة نظر أوربية في دراسة تاريخ الفكر اللغوى اللسانى ، وهو وصف ينطلق عندم الدراسات اللغوية قبل دى سوسيير ، فى مقابل النظريات اللغوية الحديثة .

ثم صدر كتاب " اللغة بين المعيارية الوصفية " للدكتور تمام حسان بعد كتاب د. أبوب بعام واحد . وإذا كان الدكتور قد وصف الدراسات النحوية العربية بالتقليدية فإن الدكتور تمام حسان يستخدم في وصف هذه الدراسات مصطلحاً جديداً استمدته من التفكير اللغوى الأوروبي وهو مصطلح المعيارية في مقابل الوصفية .

وكتاب الدكتور تمام حسان يمزج بصورة متوازية بين أمرين هما :

١- الدعوة إلى المنهج الوصفى في دراسة اللغة .

٢- نقد التفكير اللغوى العربى القديم ، ووصفه بالمعيارية .

وهو نقد منهجاً قديماً ويقدم منهجاً بدلاً مستمدًا من التفكير اللغوى الحديث .

ويقسم تاريخ الفكر اللغوى عند العرب إلى مرحلتين إحداهما كانت تطبق الوصفية والأخرى المعيارية . ويرى أن العصر الفاصل بين هاتين المرحلتين ينتهي عند عصر الاستشهاد ، فكان على اللغويين أن يستمروا في دراسة اللغة دون أن تتجدد الشواهد فداروا حول ما وصفه الأولون ولم يبحثوا عن مادة لغوية جديدة .

وفرق د. تمام حسان بين ناحيتين من نواحي النشاط اللغوي هما ناحيـة الاستعمال والبحث اللغوي . أما الاستعمال فهو وظيفة المتكلم وأما البحث اللغوي فهو وظيفة عالم اللغة .

والاستعمال تطبيق لقواعد غير واضحة أو غير واعية عند المتكلم والبحث اللغوي تفتيـن وتفتيـش عن هذه الأسس حتى تكون واضحة عند الدرس والاستعمال باعتباره تطبيقاً يتوكـيـ معايـرـ معينة ، ولكن الدراسة اللغوية هي بحث علمي يقوم على الاستقراء ليصل منه إلى وصف الحقائق اللغوية . ومن ثم يفرق بين الاستعمال والمعيارية وبين البحث اللغوي والوصفـية فالاستعمال تطبيق معياري يتوكـيـ الصـحةـ ويبحث عن الجائز وغيرـ الجائز ، أما الدراسة اللغوية فمنهجها الوصفـ وهدفـها الكشفـ عنـ القوانـينـ التي تحكمـ الاستـعمالـ .

ولم يكن التفكير النحوـيـ العـربـيـ تـكـيـراًـ مـعيـارـياًـ خـالـصـاًـ كـمـاـ لمـ يـكـنـ أـيـضـاـ وـصـفـاـ تـقـرـيرـاـ مـحـضـاـ لـاـ يـفـسـرـ وـلـاـ يـعـلـلـ مـثـلـ الـوـصـفـيـةـ التـىـ دـعـاـ إـلـيـهـاـ دـ.ـ تـامـ حـسـانـ ،ـ حـتـىـ اـسـتـقـرـ فـيـ عـقـولـ بـعـضـ الـبـاحـثـيـنـ أـنـ عـلـمـ الـلـغـةـ الـوـصـفـيـ إـذـاـ مـاـ تـنـطـرـقـ إـلـىـ التـفـسـيرـ أـوـ التـعـلـيلـ لـلـظـواـهـرـ الـلـغـوـيـةـ تـخـلـىـ عـنـ عـلـمـيـتـهـ وـدـخـلـ فـيـ نـطـاقـ الـبـحـثـ الـفـلـسـفـيـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـ وـهـذـاـ لـيـسـ صـحـيـحاـ .

وكان كتاب دراسات في علم اللغة ١٩٧١ للدكتور كمال بشر بحث عن التفكير اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث يختلف هذا البحث عن كتاب د. أبو ب. " دراسات نقية في النحو العربي " وكتاب د. تمام حسان " اللغة بين الوصفيـةـ المـعيـارـيـةـ " .

فهذا البحث لا يعرض بصورة مباشرة لنقد التفكير اللغوى عند العرب وإنما يحاول الكشف عن جوانب من هذا التفكير تتفق وعلم اللغة الحديث وهو اتجاه مالبث أن أصبح تياراً أو حركة جديدة في قراءة التراث العربي سعياً وراء تأصيل هذا التراث وفق نظريات علم اللغة تمهدًا للكشف عن نظريته الأصلية .

ويبدأ د. كمال بشر بتحديد مفهوم التفكير اللغوى الحديث وهو عنده يتصل بطريقتين :

الطائفة الأولى : تتصل بجوهر اللغة وحقيقةها وترتبط بالعناصر المكونة لها ، وهي عبارة عن أصواتها وصيغها وترابيقيها ثم مفرداتها ومعانى هذه المفردات . وهذه الجوانب هي أساس البحث اللغوى وهدفه الحقيقي ، ولهذا خصص لها علماء اللغة فرعاً من فروع علم اللغة ، وبعد أن يحدد فروع علم اللغة الحديث ، ومهم كل فرع من هذه الفروع ينتقل إلى الطائفة الثانية التي تتصل بعلم اللغة وتتمثل في مجموعة من القضايا والمسائل العامة مثل اللغة وظيفتها في المجتمع وعلاقة اللغة باللهجات والمستويات اللغوية من فصحى وعامية والصواب والخطأ وغير ذلك . وهاتان الطائفتان تكونان معاً علمًا واحداً هو ما يسمى بعلم اللغة . Linguistics

ويقرر د. كمال بشر أن علماء العربية القدماء لم يدركوا تمام الإدراك مدى العلاقة أو الارتباط بين فروع الدراسات اللغوية ، ومن ثم نراهم ينظرون إلى هذه الفروع كما لو كانت منفصلة بعضها عن بعض .

وعلى الرغم من أن سيبويه قد جمع في كتابه بين الدراسات الصوتية والصرفية وال نحوية في كتاب واحد . إلا أن هذا لا يعني أن سيبويه أو غيره من علماء العربية قد أدركوا بوضوح طبيعة العلاقة بين فروع علم اللغة ، أو لم يستفيدوا الفائدة المرجوة في استغلال نتائج البحث في هذه العلوم لخدمة بعضها البعض .

ويرى د. كمال بشر أن الدرس اللغوي عند الغرب لم يكن خالياً من نظرات متهجية صائبة بل على العكس كانت هناك بوادر طيبة تتمثل عنده فيما يلى :

- ١- جمعوا اللغة بأسلوب المشفاهة وهذا يعني أنهم اعتمدوا في عملهم على اللغة المنطقية وهي المصدر الحقيقي في الدرس اللغوي الحديث .
- ٢- حددوا دائرة التلقى والأخذ بتحديد القبائل التي يسمعون منها وإن كان اتساع الدائرة الجغرافية للقبائل أدى أحياناً إلى الخلط والاضطراب في التلقى .
- ٣- إدراكهم لأهمية الكلام وظروفه ، إلا أنهم في تطبيق هذا المبدأ كانت تحكمهم نظرة معيارية لا وصفية .
- ٤- الدراسة الصوتية هي أجود عمل لغوی عند العرب من حيث المنهج وطرق الدراسة ، وهي تدخل في إطار ما يسمى بالفونولوجيا أو علم الأصوات الوظائفى ، وقد توسيع د. كمال بشر بمحاظاته هذه عن دراسة الأصوات عند العرب في القسم الثاني من كتابه علم اللغة العام للأصوات . الذي استقل فيه بدراسة أصوات العربية ومشكلاتها في ضوء التفكير الصوتي ، الواقع أن هذا الاتجاه في دراسة التراث

اللغوى العربى ونقده والبحث عن الجوانب المشرقة فيه قد يتفق مع ما ذكره د. أبوب فى دراساته النقدية أو د. تمام حسان فى اللغة بين المعيارية والوصيفية إذ يستند إلى النظرية اللغوية الحديثة سواء فى النقد أم فى بيان الجوانب لمضبوته فيه ، ولكن يأتى الاختلاف فى أسلوب النقد فقط ولكنهم جميعا يتفقون على أوجه معينة تترد فى هذا الصدد كالتأثير بالمنطق والفلسفه وغابة الروح المعياري والاتجاه إلى التأويل الافتراضي وغير ذلك ولكن د. بشر يضيف إلى هذا النقد جانبا جديدا وهو غياب النظرية اللغوية أو بمعنى أنق عدم وجود نظرية لغوية استند إليها علماء اللغة العربية القدماء فى دراسة اللغة . وأغلبظن أن النظرية موجودة ولكنها تحتاج إلى الكشف عنها فليس من المعقول أن يقوم هذا البناء الضخم فى الدرس اللغوى العربى دون نظرية .

وقد أشار د. كمال بشر إلى بعض جوانب هذه النظرية عندما قال بخطبة الطابع العلمى على البحث اللغوى عند العرب ، وهى إشارة مهمة قد تقسر بعض ما وصفه بعدم التكامل أو فقدان المنهج .

فعلماء العربية لم يكن همهم اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها ، وإنما كان همهم الأول دراسة اللغة العربية وحدها بما لها من صلة بالقرآن الكريم فهما أداء ، ومن هنا برز الجانب التعليمى أو المعياري وهو ضرورة كان يحتمها اتجاه العرب فى دراسة العربية ، ومعنى هذا أن نظرة العرب إلى اللغة كانت تختلف عن النظرية اللغوية الحديثة فى أصولها وأهدافها .

ومن المناهج التي بينها المبعوثون وقدم هؤلاء أبحاث ودراسات حول تحليل اللغة كانوا يبنون النظرية البنوية أو مناهج علم اللغة البنوى في التحليل اللغوى ، وقد مثل هذا الاتجاه العديد من الكتب والدراسات التيتناولت مستويات التحليل اللغوى ، ومن أهم الكتب التيتناولت مستويات التحليل اللغوى كتاب د. تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ١٩٥٥ ، وكتاب د. محمود السعران علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ١٩٦٢ . وفي كتاب د. تمام حسان " استخدام المورفيم Morpheme و كما يسميه الوحدة الصرفية أول مرحلة من مراحل التركيب فى اللغة ، ويقول إن كثيراً من الباحثين يغمض عليهم هذا المصطلح حتى ليختلطون فى تفسيره وتطبيقه خلطاً كبيراً ، ويعتمد فى تعريفه للمورفيم على " فندرس " لا على " بلومفليد " ولذلك جاء تحديد هذا المصطلح عند د. تمام غير واضح .

أما التحليل النحوى أو كما يسميه منهج النحو فهو عنده عبارة عن دراسة العلاقات بين الكلمات داخل الجملة وتحليلها أو دراسة العلاقات بين الأبواب يسعى وراءهم عالم النحو ، وهو يحلل ويدرس هذه العلاقات على أساس شكلى خالص مقتفيًا في ذلك أثر مدرسة بلومفليد ومستبعداً المعنى من التحليل النحوى ولذلك كان مفهوم النحو عنده هو دراسة الجمل التامة من ناحية العلاقات الأفقية Syntagmatic في مقابل الصرف الذى يدرس العلاقات الرئيسية Paradigmatic relations أو الجدولية ، ومفهوم النحو عنده هو عبارة عن تحليل لبنيّة الجملة يقوم على تصنیف عناصرها تصنیفاً

شكلياً وظيفياً بعيداً عن ما يسميه المعنى النفسي أو المعنى الذي تتحدث عنه نظرية المعرفة .

ويعتمد على فكرة الفصال النحوية في دراسة العلاقات داخل الجملة من حيث علاقة الفعل بالفاعل والمبتدأ بالخبر دون أن يربط بين الفصال النحوية والmorphemes وأنواعها ووظيفتها في بيان بعض هذه الفصال ولكنه يربط بين هذه الفصال النحوية مثل الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأكيد والزمن وبين ما يسميه التعليق السياقي أو الرابط السياقي لأن هذه الفصال تمثل عنده علاقات بين أجزاء الجملة .

أما كتاب د. محمود السعراي " علم اللغة مقدمة للقارئ العربي " فيرى المؤلف أن معظم علماء اللغة يتناولون في التحليل النحوي موضوعين أساسين هما :

- ١- المورفولوجيا Morphology
- ٢- النظم Syntax

وهذا التناول يتم بناء على أصول شكلية أو صورية Formal لأن كل لغة تعرض المعانى بطرق خاصة ونحن نطلق هذه المعانى مرتبة بالترتيب الذى يقدمه لنا الكلام أى فى الصور والأشكال логическая التى يظهر بها الكلام . ومن أهم صفات التحليل النحوى لهذه الأشكال логическая أن يستبعد عالم اللغة الأصول الفلسفية القديمة فى التحليل كما يستبعد أيضاً التقديرات العقلية وما إليها من تأويل أو تفسير ، ومن ثم فإن أهم ما يوصى به التحليل النحوى أن يكون شكلياً أو صورياً ، لأن هدفه هو الصور логическая وتصنيفها على أساس معينة ثم تصنيف العلاقات الناشئة بين

الكلمات داخل الجملة وهذا التحليل تحليل وظيفي لأنه يقوم على إدراك الدور الذي تقوم به الكلمة داخل الجملة ، ومن ثم ينبغي استبعاد المعنى من التحليل النحوي .

ومع ذلك يقرر أن الوحدات النحوية التي يقوم عليها التحليل النحوي تتتألف عادة من المورفيمات والكلمات وهي الوحدات الحاملة للمعنى ، وتتلمح محاولة للتوفيق بين آراء بلومفید التصنيفية الشكلية واستبعادها للمعنى وأراء فيرث الذي ينطلق في نظريته من المعنى ، ولا شك أن فيرث كان واحداً من هؤلاء اللغويين الذين ربطوا بين التحليل النحوي والمعنى ، ولكن سطوه المدرسة الشكلية الأمريكية كانت تحول دون ظهور عمق التحليل النحوي وواقعيته من حيث ارتباطه بالمعنى سواء عند فيرث أو غيره من علماء اللغة وهو ما استدركته النظرية التحويلية في تعاملها مع البنية العميقية للتركيب النحوية حيث يتجلّى المعنى الحقيقي للجمل .

غير أن التحليل النحوي الشكلي قد جود مناخاً مهياً لقبوله في الفكر اللغوي العربي الحديث نظراً لرفضه التعليقات المنطقية والتقديرات النحوية التي ارتبط بها التحليل النحوي التقليدي ، ومن ثم ارتبط المنهج الشكلي عند عدد كبير من الباحثين بالوصفية حتى أصبحت تعنى عند جمهورة كبيرة من اللغويين العرب التحليل الكلي للغة بعيداً عن المعنى خصوصاً في العقد السادس من القرن الحالي حيث أصبحت الشكلية والتحليل الشكلي على المستوى النحوي من أصول علم اللغة الوصفي .

يأتي كتاب اللغة العربية معناها ومبناها ليقف وحيداً في مجال تطبيق النظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية ، وأعني بالنظرية اللغوية

الحديثة الإطار العام والتحليلي للبنية التي سيطرت على الفكر اللغوي إلى ما قبل ظهور نظرية شومسكي في رأى بعض المؤرخين كما أعني بها نظرية فيرث اللغوية .

والنظرية اللغوية التي طبقها د. تمام حسان في دراسته للغة العربية هي نظرية فيرث وهذه النظرية تأتى بها ثلاثة من دعاة الوصفية د. تمام حسان ، د. كمال بشر ، د. محمود السعراي .

وكتاب اللغة العربية معناها ومبناها يمثل نموذجاً وصفياً للغة العربية الكلاسيكية أو المستعملة في هذا العصر وفى أي عصر من عصور العربية أو إحدى لهجاتها ، وإنما هو من قبيل إعادة النظر فيما جاء من كتاب التحو وصرف من وصف اللغة العربية الكلاسيكية وبعبارة أخرى هو قراءة جديدة للتراث اللغوى العربى من منظور علم اللغة الحديث .

ويقوم النظم الصرفى فى كتاب اللغة العربية معناها ومبناها على ثلاثة أصول هي :

- ١- المعانى الصرفية التى يرجع بعضها إلى أقسام الكلام وبعضها الآخر إلى تصريف الصيغ .
- ٢- الصيغ الصرفية التى يتمثل بعضها فى الصيغ المجردة ويتمثل بعضها فى زوايد تلحق بالكلمات كما تتمثل فى دلالة بعض الأدوات .
- ٣- مجموعة من العلاقات تتمثل فى وجوه الارتباط بين المعنى وعدد من القيم الخلاقية أو المقابلات وهى وجوه الاختلاف بين هذه المبادى .

ويستعمل الدكتور تمام حسان مصطلح "المباني الصرفية" ليدل به على مصطلح المورفيمات Morphemes غير أنه يجد أن مصطلح المباني الصرفية لا يكفي للدلالة على المعانى الصرفية الوظيفية فى بيان طبيعة هذه المورفيمات فيضيف إليها مصطلحا آخر ويعده من مورفيمات اللغة العربية وهو مصطلح مبني التقسيم وهى المباني التى تدرج تحتها الصيغ الصرفية المختلفة التى يصب فى قالبها كل قسم من أقسام الكلام ، فكل الصيغ الصرفية التى للأسماء بأنواعها والصفات والأفعال تدرج تحت معانى التقسيم هذه ويلحق بها الضمائر بأنواعها وأسماء الإشارة والموصولات والظروف والخواقف والأدوات ، بالرغم من أنها تختلف عن مباني التقسيم ، إذ ليست لها مبانٍ صرفية أو صيغ تجري عليها .

يضاف إلى هذا طائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات التى تتمثل فى وجود الاختلاف بين هذه المباني وهذه العلاقات ، وجوائب هذه تتمثل نوعا آخر من المورفيمات لا يظهر فى المعنى ولكن تدل عليه الصيغ الصرفية أحياناً كما تدل عليه أحياناً أخرى المقابلة بين بنية لغوية معينة وأخرى . فمثلا الفعل "ضرب" على صيغة " فعل " وهذا المبني مع المعنى وهو الفعلية والمعنى يعطى معانى التقسيم ، أما معانى التصرير فتتمثل من حيث المبني فى استئثار الفاعل ومن حيث المعنى فى الإسناد إلى الغائب .

أما الضمير فهو من حيث معانى التقسيم يظهر مبناه فى صورة الضمير نفسه ، ومعناه فى الدلالة على الإضمار ، أما من حيث معانى

التصريف فصورة الضمير من حيث المبني هو ضمير رفع منفصل ، ومن حيث المعنى تدل على الإفراد والتذكير والغيب .

وبناء على هذه المعايير المختلفة وضع الدكتور تمام حسان جدولًا تمثلت فيه المورفيمات المختلفة للغة العربية ، وزعها وفق هذه التسميات ومهمة المورفيمات تتحصر في ثلاثة وظائف هي :

- ١- التعريف أو التحديد Identification
- ٢- التصنيف Classification
- ٣- التوزيع Distribution

ومعنى هذا أن إضافة مورفيم إلى مورفيم آخر أو نزعه منه أو مقابلة مورفيم بأخر أو تحديد المورفيم الصغرى يؤدي إلى تصنيف تحديد هذه المورفيمات في أي لغة أى أنها من خلال التحليل المورفولوجي نستطيع أن نصل إلى ثلاثة عناصر تحدد طبيعة المورفيم في هذه اللغة وهي :

- ١- بنية المورفيم أو صورته الصوتية .
- ٢- معنى هذه البنية سواء أكان وظيفيا أم دلائيا .
- ٣- وظيفة المورفيم التحوية .

وبناء على هذا نجد أن مباني التصنيف ومعانى التصريف لا تكاد تخرج عن واحد من المورفيمات كلها أو بعضها . ومثال ذلك فى الفعل ضرب " يمكن تحليله مورفولوجيًا على النحو التالي :

- ١- مورفيم حر يتمثل في الجذر ض رب

- ٢- مورفيم صفرى يتمثل فى الصيغة " فعل " التى تدل على المعنى والفعالية .
- ٣- مورفيم صفرى آخر هو الضمير المستتر ويدل على الإسناد للغائب .
- ٤- مورفيم مقيد يتمثل فى حركة الفتح التى تدل على البناء .  
وفي الاسم " الكتاب " يمكن تحليله على النحو التالى :
- ١) مورفيم مقيد يتمثل فى الألف واللام التى تدل على التعريف .
  - ٢) كتاب مجردة من التعريف مورفيم آخر .
- ٥) مورفيم صفرى يتمثل فى صيغة فعل الذى تدل على الاسمية .  
وفي الضمير " هو " يمكن تحليله على النحو التالى :
١. ورفيق حر يدل على الانفصال والتذكير والإفراد والغيبة.
  ٢. مورفيم صفرى يتمثل في حالة الإعراب أى الرفع .
  ٣. مورفيم صفرى يتمثل في علاقه البناء .
- ومعنى هذا أن المورفيم قد يكون مقطعا واحدا أو عدة مقاطع وأحياناً يكون فونيميا واحدا ، وبضاف إلى ذلك المورفيم الصفرى الذى لا يتمثل في بنية ، بل يستدل على وجوده من المعنى الوظيفي أو الاستثار أو الحذف . بل أن النبر والتنتيم والوقف تمثل عناصر مورفولوجية ، ومعنى هذا أن استقصاء مورفيمات اللغة العربية وحصولها هو عمل صرفي ونحوى في أن واحد ، ومن ثم تصبح قضية تحديد أقسام الكلام في حاجة إلى إعادة النظر لأنها تقوم أساسا على مفهوم الكلمة من حيث هي عنصر لغوى مستقل وهو ما لم يسلم به الوصفيون وعلى رأسهم الدكتور تمام حسان . إذ إن مصطلح الوظيفة عند علماء اللغة لا ينصرف إلى الوظيفة

النحوية فقط أو إلى وظيفة المورفيم في التركيب وإنما يتجاوزه إلى ما يسمى بالتحليل الوظيفي للكلام ، وهو يتناول كافة مستويات اللغة ، حيث ينظرون إلى العلاقات التركيبية من الفوئيمات إلى الجمل ، ولكن الدكتور تمام حسان أبقى على فكرة تقسيم الكلام إلى أقسام فأصبحت عنده تقسيم إلى اسم و فعل و صفة و ضمير و خالفة و ظروف وأدلة .

وهذا التقسيم يقوم على أساس وظيفي أو على مفهوم المورفيم ودوره سواء على المستوى الصرفي أم النحوى حيث يظهر من التحليل المفهولوجى ما يلى :

١- بيان لوظائف أو العناصر المورفولوجية .

٢- بيان الوظائف النحوية وهى وثيقة الصلة بالوظائف الصرافية غير أن بيان الوظيفة النحوية قد يتم عن طريق الموقعة أحياناً كما فى مثل ضرب عيسى موسى كما يتم أيضاً عن طريق بيان وظائف حركات الإعراب من حيث هي مورفيمات .

وبيان الوظائف النحوية والصرافية للمورفيمات تبين فى ذات الوقت وظيفة هامة لهذه المورفيمات وهى تكوين العلاقات النحوية ومعنى هذا أن الوظيفة اللغوية للمورفيم سواء أكان حراً أم مقيداً لم صفريراً هي المحصلة من استخدامه على مستوى التركيب ، وقد مزج الدكتور تمام حسان بين فكرة تقسيم الكلام إلى أقسام وهو تصور تقليدي يقوم على وحدة لم يعترض بوجودها الوصفيون فى الكلام وهى الكلمة وبين التحليل المفهولوجى وفكرة المورفيم التى حل محل مفهوم الكلمة فى النظرية اللغوية الحديثة .

أما النظام النحوى فى كتاب اللغة العربية معناها ومبناها فهو يتصل بوضع وتركيب الكلمات داخل وحدة لغوية أكبر تسمى فى النحو التقليدى الجملة . وقد أقام الدكتور تمام حسان تحليله لل مستوى النحوى على فكرة التعليق التى استقاها من عبد القاهر الجرجانى أو العلاقات السياقية حتى تنشأ علاقات من التوافق والاختلاف أو التناقض تحكمها شبكة من القرائن تتحول فيها المورفيمات إلى نظام من العلاقات تتجلّى في المقامى من ناحية ورأسياً من ناحية أخرى . أما العلاقات السياقية فتقوم على قرائن معنوية وقرائن لفظية ، وكل ذلك يتصل بالمعنى أو ما يسميه الدكتور تمام المعنى المقالى وهو يقابل المياق اللغوى Linguistic Context عند فيرث .

وتمثل القرائن المعنوية عنده فيما يلى :

- ١- قرينة الإسناد أي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر وال فعل والفاعل .
  - ٢- قرينة التخصيص مثل التعديـة في المفعول به والمعيبة في المفعول معه ، والظرفية .
  - ٣- قرينة المخالفة مثل المنصوبـات التي يتغير المعنى برفعها .
  - ٤- قرينة النسبة وهي معانى حروف الجر التي تنسب بها معانى الأفعال إلى الأسماء .
  - ٥- قرينة التبعية مثل النعت والتوكيد والعلطف والبدل .
- أما القرائن اللفظية : فتمثل فيما يلى :
- العلامة الإعرابية – الرتبة – مبني الصيغة – المطابقة – الربط – التضام – الأداة – النعمة .

و هذه القراءن المعنوية واللغطية تؤدى عنده إلى فكرة تضاد القراءن وهي التي تؤدى إلى وضوح المعنى الوظيفي للنحوى أو المعنى المقالى . ويرى أن هذه الفكرة تتعلى عن نظرية العامل أى أن المعنى النحوى عنده لا يظهر إلا من خلال عدد من القراءن حراسة للمعنى من خلال المبنى أو ما أسماه بأمن للتبس .

ولكن هذه القراءن سواء اللغطية أم المعنوية يمكن بالتحليل المورفولوجي الكامل للغة العربية أن تدخل في إطار المورفيمات بأنواعها الثلاثة في بمجموعها معانٍ وظيفية نحوية وصرفية ناتجة عن توزيع هذه المورفيمات وفق علاقات تركيبية .

ففي جملة مثل : ضرب زيد عمرا ، نجد أن القراءن اللغطية والمعنى تتحقق من خلال مورفيمات الصيغة والإعراب والبناء والرتبة والإسناد وغيرها وهي مورفيمات بعضها لغطي وبعض الآخر صفرى أى لا تتحقق لغطا ولكنها تقوم بوظيفة نحوية واضحة .

فالتحليل النحوى عند الدكتور تمام حسان كما هو أيضا عند فيرث شبكة من العلاقات السياقية المقالية أو اللغطية تبدأ من الغونيمات ثم المورفيمات وتنتهي إلى التركيب في وحدة أكبر وهذه العلاقات اللغطية أو المعنوية تقوم على مبدأ توزيعي تنشأ منه علاقات توافق أو اختلاف أو تناقض بين العناصر اللغوية المكونة للتركيب وهي جزء من هذه العلاقات السياقية . ولكن تحليل هذه العلاقات ورصدها وتصنيفها لا يؤدى إلا إلى المعنى المقالى فقط ويتبقى بعد ذلك جزء مهم من المعنى لا يكتفى إلا بالسياق الاجتماعى Context of Situation وهو شق من نظرية السياق عند فيرث وبه يكتمل المعنى .

## ب - السمات

عرفت الشعوب القديمة النحو حين استخلصت قواعد Grammaire تميز بها الصيغة السليمة من غيرها ، ولذلك يجد الدارس أشكالاً من درس النحو الذي اهتم منذ بروزه ببيان حدود الخطأ والصواب وفق المواقف اللغوية الخاصة بهذه اللغة أو تلك وخصائص النحو التقليدي بقيت سمة للدرس النحوي حتى جاعت اللسانيات الحديثة بالمنهج الوصفي الذي جنح بالدراسات اللغوية عامة إلى سبيل جديد من سبل الدرس العلمي .

ومن هنا بدأ نوعان من السمات بيرزان : أحدهما أطلق عليه "النحو المعياري" والأخر أطلق عليه "النحو الوصفي" ولا شك في أن ظهور النحو الوصفي لم يلغ النحو المعياري الذي بقى متداولاً في الأوساط التربوية فالنحو المعياري La Grammaire يقوم على أساس التمييز بين مستويات اللغة : لغة متفقة ، ولغة شعبية ، ولهجة " أما النحو الوصفي فقد اقتصر على الوصف العلمي المحايد دون أن يتطرق إلى الصحة والخطأ ، ونظر إلى القواعد نظرة جديدة ترى فيها جهات اشتراك بين حالات متشابهة توصف وتصنف بعد استقراء واسع للكثير من الأمثلة والأساليب المتداولة .

ولأن الدراسات النحوية المعاصرة تنهج نهجاً وصيفياً يتبدّل كل موقف معياري قد تجاوزت حدود النحو المعياري إلى الاهتمام العلمي بالقواعد أو التركيب Syntaxe وصولاً إلى الكلمات اللغوية التي تشتراك فيها اللغات الإنسانية .

ومن هنا تظهر أهمية هذا الدرس المعاصر على أساس أنه نهج  
جديد يضاف إلى مناهج الدرس اللغوي .  
والمنهج المعاصر في الدراسات النحوية لا يتوقف في درسه  
لتركيب الجمل وأنمطها عند العلاقات الشكلية التي اهتم بها الدرس  
المعيارى ، إنما يتعدى ذلك إلى البحث عن المعانى التي تعبر عنها تلك  
التركيب .

## أنواع الجمل

الجملة عند النحاة مصطلح يدل على وجود علاقة إسنادية بين اسمين أو اسم و فعل ، والإسناد هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى . وفسرت النسبة بأنها إيقاع التعلق بين الشيئين والجملة في العربية الفصحى نوعان : جملة اسمية وجملة فعلية فالجملة الأسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه . بلا دلالة على تجدد أو استمرار . وإذا كان خبرها اسمًا فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرآن . وإذا كان خبرها مضارعاً جملة فعلية فعلمها مضارعاً فقد يقصد استمرار تجديداً إذا لم يوجد داع إلى الدوام . فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام .

والجملة الفعلية موضوعة لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنية على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، ويشير إلى تجدد سابق أو حاضر " في الماضي والحال " كما نشير إلى استمرار دون تجدد . فنظام الجملة في العربية الفصحى يسلك أحد خطرين : أحدهما يجري على هذا النحو : مبتدأ " مسند إليه " + خبر " مسند " + متعلق ظرفى بالجملة الأسمية = جملة اسمية .

على حين أن الثاني منهما يجري على النحو التالي : فعل " مسند " + فاعل أو ما ينوب عنه " مسند إليه " + مفعول به مباشر + مفعول ظرفى = جملة فعلية .

ومن المعروف أن العربية الفصحى تعتمد على قرينة الإعراب لبيان وظيفة الكلمة في الجملة . ولذلك لم تعتمد على تحديد موقع الكلمات كما هي الحال في اللغات الهندية والأوروبية .

وعلى المبتدأ يعتمد في التفريق بين الجمل الاسمية والفعلية فإذا تقدم اسم لم يكن مسندًا إليه نحو قولنا علياً أكرم محمد . وقولنا اليوم عاد المسافر .

بقيت الجملة فعلية وإن تصدرها اسم . لأن هذا الاسم من قبيل الفعلة وليس ركناً إسنادياً . ومن الواضح أن قرينة الإعراب تساعد على بيان علاقات الإسناد وتحديد نوع الجملة .

ولا يعني هذا أن المبتدأ في الجملة الاسمية عندنا واجب التقديم لتبني عليه الجملة . إذ قد يتقدم عليه الخبر وجوباً أو جوازاً إن كان اسمين أو كانوا مما يعد في المفردات كالمصدر المؤول . أما إذا كان الخبر جملة فعلية فإن المبتدأ واجب التقديم لأن عليه المعتمد في تحديد نوع الجملة نحو قولنا " يد جاء " .

والجملة الاسمية في العربية تتتألف من اسمين دون رابطة إسنادية على غرار رابطة المعروفة بفعل " الكون " في اللغات الهندية والأوروبية والتي لا يقوم إسناد في هذه اللغات إلا بها أو بالفعل المنصرف .

ويلاحظ أن العربية استعانت لإبراز الإسناد بالضمير ظاهراً أو مقدراً .

وقد ارتأى الكوفيون أن خبر الجامد يحمل ضميراً يعود إلى المبتدأ وإن لم يكن في معنى المشتق كقولنا : هذا حجر ، وبذلك أصبح تقدير

الضمير وارداً أيا كان الغير جاماً أو مشتقاً لأنه لابد من رابط يربط المبتدأ بالخبر . كما أستعانت العربية تأكيداً لوجود الإسناد ببعض الأدوات كالفاء والباء كما في قولنا :

ما أنت بالرجل الذي تخشى بوادره .

وقولنا : الذي يتتفوق فله جائزة .. قوله : كل امرئ فله رزق .

والاحتياج إلى الدلالة الزمانية دفع إلى استعمال فعل " كان " أو يكون أو " سيكون " في قولنا : ابن مينا كان طيباً .

وقولنا : الجو يكون لطيفاً في الربيع .. وقولنا : الشجر سيكون مثراً .. ولكن بعض الدارسين المحدثين في العرب والمستشرقين نظروا إلى هذه الحالة وسابقتها أى حالة المبتدأ المحول على أنهما دليل على استقلال الجملة الاسمية ، بل على نفي وجودها أصلاً ، وقد سعى هؤلاء على اختلاف مناهجهم إلى إلحاق الجملة الاسمية بالفعلية بتقدير فعل " الكون " قبل المبتدأ أو بعده وتمثل ذلك على الرأى الأول هو :

" يكون محمد رسول الله ، وعلى الثاني هو " محمد يكون هو رسول الله " والجملة أصلاً هي " محمد رسول الله " .

ويرى برجشتراس أن الجملة الاسمية المحضية أقدم تركيبات اللغات غير أن اللغات السامية حافظت على هذه الجملة ، في حين تخلت عنها سائر اللغات ، فالجملة الاسمية كثيرة الاستعمال في اللغات السامية كلها دون الاحتياج إلى الفعل الراיבط بين جزئي هذه الجملة . أما الجملة الاسمية المحضية " أى التي تخلو من الفعل فتكاد لا توجد في اللغات الهندية والأوروبية والإيرانية والغربية ، فقد استخدمت هذه اللغات رابطاً بين جزئي

الجملة المشابهة للجملة الاسمية السامية ، وبدون هذا الفعل لا يمكن تشكيل  
جملة صحيحة إسنادياً .

## **المعنى النحوى**

أظهرت الدراسات الحديثة للمعنى اللغوى أن الأحداث اللغوية معقدة مركبة ، ليس من السهل دراستها وتحليلها دفعه واحدة .  
ويذكر أن اللغوى المعاصر (فيرث) Firth في عام ١٩٦٠ دعا إلى تحليل المعنى اللغوى إلى عناصره الرئيسية من جهة ووجوب الاعتماد على المقام Context of Situation لكشف ظروف الكلام وملابساته من جهة أخرى .

والدكتور تمام حسان نحا هذا النحو في دراسة المعنى ، وقد انتهى إلى أن الكلام يقسم لجزاء مقتالية تبدأ من الصوت فالبناء الصرفي فالنحو التركيب "فالمعجم ويضاف بعده "المقام" لينتاج المعنى الدلالي ، وارتدى تمام حسان أن معانى أجزاء الكلام تجري على هذا النحو :

- ١- الصوت : المعنى هنا وظيفي ، لأن الصوت مقابل استبدالى ليس له معنى في ذاته من الممكن أن نضيف إلى هذا المعنى ظلالا دلائلية مكتسبة من خلال الاستعمال الذى يضفى على أصوات بعض الكلمات ملامح خاصة ينبغي أن تؤخذ فى الحسبان حين التصديق للتحليل اللغوى .
- ٢- الصرف : والمعنى هنا وظيفي أيضا لأن المباني الصرافية تدل على المعانى من خلال وظائفها فهي أشكال وعلامات .
- ٣- النحو : المعنى وظيفي لأن علاقة الإسناد تقوم على المباني الصرافية الوظيفية ، والعلاقة السياقية ما لم تتحسب معنى الكلمات المعجمى لا

نقدم إلا شكلاً من ترابط المباني ذات المعانى الوظيفية في الصوت والصرف .

٤- المعجم : وهو الذي يقدم المعنى الاجتماعي لغوى الذى تتم به أجزاء الكلام وعليه يتوقف المعنى اللغوى للصرف . ويظهر الفرق بين معانى الصوت والصرف والنحو من جهة ، ومعانى المعجم من جهة أخرى حيث ينشئ المرء .

٥- المقام : وهو مجموع العلاقات والظروف والملابسات الاجتماعية التي تحيط بالكلام . وهذه المعانى هي التي تمثل المعنى الدلائلى للكلام اللغوى . وهذه المعانى يتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ولا يجوز الفصل بين أحدهما والآخر ، فالمعنى الدلائلى الذى يستخلصه المرء من الكلام اللغوى أشبه ما يكون بالمركب الكيماوى الذى تتحل فيه عناصر متعددة لتعطى شيئاً واحداً ليس فيه إجزاء متلاصقة أو أقسام متمايزه ، بل فيه صورة جديدة تولدت من جماع ذلك كله .

والمعنى النحوي لا يفسره الإعراب - كما يرى د. تمام حسان - لأن الإعراب قريبة لفظية من مجموعة من القرائن التي تتضاءل لتوضيح المعنى ، وينتهى د. تمام حسان إلى أن تحليل المعنى النحوي يمكن أن يكون عن طريق فهم فكرة " التعليق " التي أشار إليها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " والتعليق عنده هو إنشاء العلاقات بين المعانى النحوية بوساطة ما دعاه بالقرآن اللفظية المعنوية والحالية .

## القرائن المعنوية

يتوقف تحديد المعنى النحوي على مجموعتين من القرائن التي تؤخذ من عناصر المقابل . فوسيلة الوصول إلى المعنى النحوي – دون احتساب المقام – هي التعرف إلى القرائن المتاحة في التركيب المدروس سواء كان معنوياً أم لفظياً ، وما يحصل للدارس من معنى نحو ما هو إلا نتيجة لتضافر القرائن .

(١) الإسناد :

هو العلاقة الرابطة بين طرفى الإسناد ، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر ، أو الفعل والفاعل . وتعدد هذه العلاقة عند فهمها قرينة معنوية على أن هذا مبتدأ وذلك خبر ، وأن هذا فاعل وذلك مفعول .. وبذلك يكون الإسناد عندنا من قبيل القرائن المباقية المعنوية على حين أنه في اللغات الأوروبية نوع من القرائن اللقطية " الأفعال المساعدة " ، ويلاحظ في هذا الصدد أن الأفعال المساعدة تحمل معنى الإسناد والزمن . ولذلك لا تخلو الجمل الواردة في هذه اللغات من الزمن نصاً ومن أمثلة هذه القرينة أن النحاة فرقوا بين نوعين من الأفعال المتعددة إلى مفعولين إذ جعلوا طائفة منها تتبعى إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر . وما ذلك إلا لاحتساب معنى الإسناد الأصلى مع تغير التركيب .

ومثال ذلك قولنا : ظنت الجو صحوأ . فالمعنى هنا جملة اسمية ولذلك بقيت بقية من معنى الإسناد فيما ، وهو لذلك قابلن للرجوع إلى الحالة الأولى من التركيب أي العودة إلى نمط الجملة الاسمية نحو قولنا الجو صحو . أما قولنا : منحت المنفوق جائزة فلا تلمح فيه علاقة إسناد

بين المفعولين لأنهما ما كان أصلاً جملة اسمية ولا يصح أن يكون كذلك فلا يقال المتفق جائز إذ لا يجوز إسناد "جائزه" إلى "المتفق".

(٢) التخصيص :

هو قرينة معنوية تضم مجموعة من المعانى التى تقيد الإسناد بجهة خاصة . وأمثلة هذه القريئة متعددة منها التعدية والغائية والظرفية والإخراج ففى التعدية يلاحظ أن المفعول به قيد فى الإسناد حال دون فهم الإسناد على إطلاقه نحو قولنا ضرب زيد عمراً .

فإيقاع الضرب على عمرو تخصيص لعلاقة الإسناد . وفي الغائية على عمرو تخصيص لعلاقة الإسناد . وفي الغائية يقدم المفعول لأجله مثلاً على التخصيص . إذ يقيد الإسناد بسبب نحو أتيت رغبة في لقائك . وإسناد الفعل دون سبب أعم منه وهو مسبب ، ولذلك عد المفعول لأجله واحداً من قيود الإسناد .

وفي الظرفية يخصص الإسناد بتقيده زماناً أو مكاناً نحو : صحوت إذ تطلع الشمس و عوقب الجانى أمام الناس وفي الإخراج يدل الاستثناء على أن الإسناد لا يشمل المستثنى لأنه أخرج منه نحو قولنا : " نجح الطالب إلا علياً " .

فإسناد النجاح هنا إلى الطالب استثنى منه واحداً للدلالة على إخراجه منهم ، ففي الإخراج تقيد للإسناد وتخصيص له .

(٣) النسبة :

هي قرينة معنوية تجعل علاقة الإسناد نسبية ، والنسبة هنا غير التخصيص ، لأن التخصيص تقيد على حين أن النسبة إلهاق ، ويدخل في

النسبة معنى الإضافة ومعنى حروف الجر التي تضيف معانى الأفعال إلى الأسماء وتنسبها إليها ، والنحاة القدامى أولوا هذه الحروف الدالة على المعانى اهتماما خاصا إذ أفردوا للحديث عنها أبوابا واسعة ومؤلفات متعددة وكان النحاة حريصين على شرح ما تقيده معانى الجر من تعلق . على أن للتعلق بين الجار والمجرور وبين ما تعلقا به إنما يكون بمعنى الحديث لا بمعنى الزمن فالتعليق بواسطة ما يفهم بالحرف من نسبة وفى حقيقته إيجاد علاقة نسبية بين المجرور وبين معنى الحديث الذى فى علاقة الإسناد نحو هلبنى زيد على الكرسى .. فالكرسى متعلق بالجلوس أى بالحدث لا بالمضى أى بالزمن ونحو أصحو فى وقت طلوع الشمس . فوقت طلوع الشمس متعلق بالصحو على أن هناك نسبة للحدث إلى ظرف يحتوية وهذه النسبة إلحادق لا تقييد .

ويظهر الفرق بين هذين لمعنيين أى الإلحادق والتقييد حين تقارن بين المثال السابق "صحيوت إذ تطلع الشمس" .

وهي من أمثلة التخصيص عن طريق الظرفية من جهة . ومثالتنا اللاحقة "أصحو في وقت طلوع الشمس" الذى جعلناه فى أمثلة النسبة من جهة أخرى . فالمعنى فى الأول هو تقييد لإسناد زمانا فالصحو كان وقت طلوع الشمس نصا لا غير . على حين أن المعنى فى الثانى هو نسبة الصحو إلى وقت طلوع الشمس لا إلى غيره . والخلاصة هى أن الصحو فى المثال الأول متوقف على زمان طلوع الشمس فهو مقيد به .

أما في المثال الثاني الصحو منسوب إليه غير متوقف عليه لذلك  
يجوز أن يكون المثال على نحو آخر كقولنا " اصحوا في وقت الظهر " .

(٤) التبعية :

هي قرينة معنوية عامة تضم فروعها هي النعت والعلف والتوكيد  
والإيدال . وتنصافر مع هذه الفروع الدالة على التبعية قرائن لفظية كالرتبة  
، قرينة التابع هي التأثير دوماً عن المتبع ، والمطابقة بين التابع والمتبع  
ولا سيما في الأعراب ، والأدلة وهي قرينة تخص العطف بالحرف أي  
عطف النسق .

(٥) المخالفة :

هي قرينة معنوية يقصد منها أن جزءاً من أجزاء التركيب يخالف  
أحكام الإسناد الجازى ، ويبدو هذا جلياً في باب الاختصاص نحو تحت –  
العرب – لا نقبل الضمير ”

فالعرب هنا جزء يخالف مقتضى الإسناد الذي يتطلب خبراً ، ولذلك  
لا يمكن أن تعرب كلمة العرب خبراً لأن المراد معنى يخالف ما ذكر وهو  
أخص وأعني – على حين أن المتكلم إذا قال : ” نحن العرب لا نقبل  
الضمير ” لا يعني شيئاً مما سبق من التخصيص إنما يريد مجرد الإخبار ،  
فيجرى الإسناد مطلقاً دون تقدير أو مخالفة .

## القرآن اللفظية

١- العلامة الإعرابية :

الإعراب وحده لا يكفي ولا يقوى على تبيان المعنى النحوي .  
ويروز العلامة الإعرابية في العربية الفصحى دفع النحاة إلى البحث في  
العامل الذي يحدث الأعراب .

وهكذا أخذوا ينتبهون إلى العامل حين درسوا الحركات التي تغير  
بتغير الموضع ، فكل حركة إبن هي مظهر لعامل ما من العوامل المؤثرة .  
ولم يكونوا في البداية يقصدون أنه عامل حقيقي يتسلط على المعمولات ،  
إنما قصدوا أنه عامل اقتراني يفسر للتغيير الحاصل في حركات أواخر  
الكلمات .

ويلاحظ أن العلامة الإعرابية قد تكون القراءة الواحدة التي تفسر  
الإسناد نحو قوله تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " <sup>(١)</sup> .  
وقوله تعالى : " ولذ أبلى إبراهيم ربه بكلمات " <sup>(٢)</sup> .

(٢) الرتبة :

وهي وصف لموقع الكلمات في التراكيب والرتبة نوعان هما :  
رتبة محفوظة ، ورتبة غير محفوظة . والرتبة المحفوظة : تخص النحو  
لأن أي اختلال يمسها يجعل التركيب مختلاً غير مقبول - على حين أن

(١) فاطر : ٢٨

(٢) النقرة : ١٢٤

الرتبة غير المحفوظة تخص البلاغة إذ اهتم بها علم المعانى للذى يبين أغراض التقاديم والتأخير ضمن دراسة للأسلوب لا للتركيب .

ومن أمثلة الرتب المحفوظة تقديم الموصول على الصلة ، والموصوف على الصفة ، والمؤكّد على الموكّد ، وال فعل على الفاعل ، والمضاف على المضاف إليه وأدوات الشرط والجزم والنفي والاستفهام وهي التي وصفت بأن لها الصداره دوما .

ومن أمثلة الرتب غير المحفوظة تقديم المبتدأ على الخبر ، والفاعل على المفعول ، والفعل على المفعول ، والفعل على الحال ، وليس القصد من الفصل بين هذين النوعين من الرتبة إخراج الرتب غير المحفوظة من نطاق النحو نهائيا ، لأنها قد تكون القرينة الوحيدة التي يلجأ إليها لكشف علاقة الإسناد ، ولا سيما في المبنيات وما لا تظهر عليه الحركة نحو ضرب موسى عيسى .

إن موسى هنا فاعل ، وعيسى مفعول به استنادا إلى أن الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول ، مع أن ذلك ليس رتبة محفوظة ، كذلك قد تعكس الآية فتغدو الرتبة غير المحفوظة محفوظة على سبيل الإلزام . كما فى وجوب تقديم الخبر على المبتدأ نحو أين الحرية ؟ ، " في الدار صاحبها " وقوله تعالى " لكل أجل كتاب " <sup>(١)</sup> .

### ٣- الصيغة :

هي المبني الصرفى الأسماء والأفعال والصفات وهى قرينة لفظية يقدمها علم الصرف للنحو .

<sup>(١)</sup> الرعد : ٣٨

وأمثلة هذه القرينة في بيان المعنى النحوى كثيرة ، فالفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر ونائب الفاعل ونحو ذلك بطلب فيها أن تكون أسماء لا أفعال ولذلك لا يتوقع أن يجيء الفاعل غير اسم كان يأتي فعلا نحو جاء "أتي" ، وإن حدث مثل ذلك لجأنا إلى التأويل عن طريق إعراب الحكاية نحو جاء تابط شراً أى جاء المسمى بملة "تابط شراً".

ولمعانى الصيغة الصرفية أثر واضح في بيان المعنى كذلك ، ففى جملة يتتصدرها فعل يدل على معنى المشاركة لابد من أن يأتي اعلان معنى "أحدهما فاعل نحوى والأخر اسم معطوف عليه نحو تشارك على محمد" وفي جملة فعلها متعد "ولا سيما إذا كان التعدى مسببا من زيادة لابد من ذكر المفعول به إكمالا للمعنى ، نحو أوصى زيد أخيه إلى المحطة قدم خالد هدية إلى أخيه .

وفي جملة فعلها من أفعال فعل يفعل لا يتوقع مجئ مفعول به ، لأن هذه الأفعال لازمة أصلا ، وإن جاء بعد الفاعل هنا اسم منصوب أعراب تمييزا لأن معنى المفعولية مفقود نحو كرم سعد نفسها .

#### ٤- المطابقة :

هي قرينة لفظية توثق الصلة بين أجزاء التركيب وتعين على إبراز العلاقات التي تربط بين المتطابقين وإذا ما اختل شيء من المطابقة أصبحت الكلمات الواردة في التركيب مفككة العرب ما يؤثر في المعنى تأثيرا سليبا ، وتكون المطابقة في العلامة الإعرابية والشخص والعدد والتوع والتبيين ، ويظهر المثال التالي طبيعة المطابقة وكونها قرينة لفظية على المعنى المراد من التركيب : فإذا قلنا : الرجال الصابرون يقدرون .

كان التركيب تام المطابقة صحيحة ، أما إذا انقصنا شيئاً مما يلى  
صار التركيب مختلاً .

٥- الربط :

هو قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالأخر وللربط  
دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام ، وتوضيح معنى الإسناد ويتم  
الربط بين الموصول وصلته ، والمبتدأ وخبره ، والحال وصاحبه  
والمنعوذ ، ونعته ، والقسم وجوابه ، والشرط وجوابه ونحو ذلك .

ويكون الربط بالضمير مستمراً وبارزاً ، فالمستتر نحو زيد قام أى  
هو والبارز نحو زيد قام أبوه . وحين يعود الضمير على مذكور ينبغي أن  
يتطابقه من حيث الشخص والعدد والت نوع نحو الفائزان سلماً وسامين  
وسلمين رفيعين .

كما يكون الربط بالحرف كلفاء الرابطة لجواب الشرط ن واللام  
الواقعة في جواب القسم ، وألف ولام التعريف الناتبة عن الضمير نحو  
قوله تعالى : "جنات عند مفتحة لهم الأبواب" <sup>(١)</sup> أى أبوابها . وقوله تعالى  
: "إن الجنة هي المأوى" <sup>(٢)</sup> أى مأواه

ومن المعروف أن جواب الشرط إن لم يكن صالحًا لأن يكون  
شرطًا وجب اقترانه بلفاء لتربيطه بالشرط فقد المناسبة اللفظية حينئذ  
بينهما ، كذلك تحتاج أما ولو لا والقسم إلى أدوات ربط حتى يعلم أن ما

<sup>(١)</sup> ص : ٥

<sup>(٢)</sup> التلارعات : ٤٦

بعدها جواب لها ، كما يكون الربط بإعادة اللفظ أو المعنى ، فاللفظ كقوله تعالى "الحقة ما الحقة " <sup>(١)</sup> والمعنى نحو محمد شفيعى نبى الله . ويقوم اسم الإشارة مقام أداة الربط كقوله تعالى : " يوم يجمعكم يوم الجمع ذلك يوم التغابن " <sup>(٢)</sup> . قوله تعالى : " والذين كفروا وکذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار " <sup>(٣)</sup>

#### ٦- التضام :

وهو أن يستلزم أحد العنصرين التحويين عنصراً آخر فيكون التضام على هيئة "التلازم" وعكسه أن يتناقى معه فلا يلتقي به ويكون حينئذ على هيئة "لتناقى" ويتخذ التلازم شكل الافتقار حين شئت حاجة أحد العنصرين إلى الآخر كالموصول وصلته ، وحرف الجر ومجروره وواو الحال وجملة الحال وحرف العطف والمعطوف ، والتواصي والجوازم والفعل المضارع الذي يأتي بعدها وهو ذلك وإذا عرض عارض أحجاز حذف أحد هذين العنصرين ، فلابد من قرينة دالة على المحذوف كحذف المبتدأ أو الخبر وحذف الموصول أو الصلة وحذف المضاف أو المضاف إليه .

<sup>(١)</sup> الحقة ٢-١

<sup>(٢)</sup> التغابن : ٩

<sup>(٣)</sup> البقرة : ٣٩

والتضام قرينة لفظية ذات أثر في انسجام العناصر التحوية لأنها تحدد وظائفها وما تشير عليه من معانٍ في السياق التحوي .

ومن أمثلة ذلك أن اسم الموصول وصلته يمثلان عنصرين لا يقوى أحدهما على الاستغناء عن الآخر أو الحلول محله فإذا لنا جاء زيد الذي أحبه انصرف معنى الصلة إلى الذي مباشرة دونما تطرق احتمال كونها خبراً أو صفة أو حالاً لأنها جزء متّم لموصول لا يغني عنه كما أن الموصول مقتضى إلى هذا الجزء - أي الصلة - افتقار واضحاً كذلك الشأن بين المضاف والمضاف إليه ، فالظرف الذي يهوا للإضافة لابد له نالاتصال بالمضاف إليه ، وإن يكن اسم صريحاً فقد يأتي بعده تركيب نحوٍ مستقل يحل محل المفرد لأن الفائدة لا تتم إلا به نحو قوله تعالى : " والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ويوم أبعث حيَا " <sup>(١)</sup> وظاهر أن المضاف أو المضاف إليه لا يقوى على الافتراض بالمعنى ، لأن المعنى شركة بين الجزأين معاً .

## ٧- الأدلة :

هي مبني صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي وقد تتبه علماء العربية الأوائل على ما للأدوات من أثر في فهم النصوص الدينية والأثار الأدبية ، لذلك عملوا على تصنيف كتب خاصة تضم هذه الأدوات وما تؤديه من معان وتقسم الأدوات بالنظر إلى أصولها إلى قسمين :

الأول : هو الأدوات الأصلية أي التي لا تتبع إلى أي مبني صرفي سابق وإنما هي حروف وضعت لمعان خاصة عند أهل اللغة أساسا .  
والثاني : هو الأدوات المحولة وهي التي تتبع إلى مبني الأسماء أو الظروف أو الأفعال لكنها اثبتت الحرف شبيها معنويا فأدت وظيفته وخدمت في عداد الأدوات .

وتشترك الأدوات جميعا في أنها لا تدل على معان معجمية إنما تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق وتختص كل فئة من الأدوات بعد ذلك بوظيفة خاصة كالنفي والتأكيد والتشبيه وغير ذلك لكل آداة من الأدوات ضمائم خاصة بها إذ تتطلب بعدها شيئاً بعينه فتكون قرينة متعددة جوانب الدلالة حيث تدل بمعناها وبموقعها وبتضامها مع الكلمات الأخرى وبما قد يكون متفقاً مع وجودها من علامات إعرابية على ضمائمها .

للأدوات ارتباط بالقواعد الفظوية في السياق النحوي ، إذ تكون وسيلة للربط أو تعبيراً عن التضام ودليلًا على الربطة وعملاً يؤثر في العلامات الإعرابية . أما المعانى التي تؤديها الأدوات <sup>(١)</sup> عامة في كل ما تدخله من تركيب نحوية فهي أكثر من أن يتسع لها مجال .

(١) انظر كتابنا الأدوات والحراف معانيها ووظائفها نحوية والدلالية .

- ٨ - النغمة :

هي الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق ، فهناك أشكال لتنعيم تتطق بها الجملة الاستفهامية أو الجملة المثبتة أو المنفية أو المؤكدة أو جملة النداء أو التمني أو العرض ونحو ذلك فلكل جملة من هذه الجمل شكل أو صيغة تنعيمية خاصة بها .

وبناء على ما نقدم قد تكون النغمة قرينة أكيدة على المعنى النحوي ولا سيما حين يتصل الأمر بالجمل التأثيرية المختصرة نحو: يا سلام أو اش أو لا .

وبما يتصل باللغة الانفعالية عامة . فالنغمة التي تتطق بها هذه الجمل وما يماثلها هي التي تحدد إذا كان الكلام تعجباً أو سخرية أو قبولاً أو رفضاً كما تحدد مثل هذه الجمل وغيرها إذا كان الكلام خبراً أو إنشاء . ويقوم التنعيم في الكلام المنطوق مقام علامات الترقيم في الكلام المكتوب بل أن هذه العلامات ما هي إلا تعبير عن الأشكال والصيغ التنعيمية المصاحبة للكلام في المقام الذي حدث فيه ، وتحقق النغمة بوسائل صوتية متعددة كالتبير والوقف والمد والوصل والفصل ونحوها .

## تحليل التركيب الإسنادي

الجملة تركيب يضم عنصرين أساسين بينهما علاقة إسنادية ويختلف هذا التركيب عن ما سواه من أنواع التركيب اللغوية كالتراكيب الإضافي والوصفي والعلقاني والمجزي بأنه "الوحدة" النحوية الصغرى التي يعبر بها الإنسان عن معنى لا تستطيع الكلمة المفردة أن تقدمه كما لا تستطيع سائر التراكيب المذكورة أن ت فعل ذلك ، والجملة تتالف من مسند ومسند إليه ، فالمسند هو محكوم به ، والمسند إليه محكوم عليه . ومواضع المسند في العربية هي : الفعل والخبر وخبر كان وإن وأخواتها واسم الفعل والمصدر النائب عن فعل الأمر . ومواضع المسند إليه هي : الفاعل ونائبه ، والمبتدأ وما أصله مبتدأ كاسم كان وإن أخواتها ، أما القيد فنحو أدوات الشرط والنفي والمفاعيل والحال والتبييز والتواقيع والتواصخ . وذهب المناطقة منذ القديم إلى أن في العبارة – وهو مصطلحهم الخاص عنصرين لأبد من وجودهما فيما وهما :

- ١- الموضوع : "المخبر عنه ، والموصوف والمسند إليه " .
- ٢- المحمول : المخبر به والصفة والمسند .

فقولنا الشمس طالعة يتضمن المعمول وهو "طالعة" والموضوع وهو الشمس فالعبارة هي مجال اقتران الموضوع بالمعمول ويستند هذا التحليل المنطقى إلى أن عملية التفكير تقوم على ثلاثة وظائف هي : التصور "عرض الموضوع " . - والحكم "التعبير عن المعمول " .

- والمحاكمة "الربط بين حكمين لاستنتاج حكم ثالث".  
وتجدر الإشارة إلى أن كتاب القواعد الذي أصدره وبورت روبل  
 Arnuld Port Royal عام ١٦٦٠ للمؤلفين لا نسلو Lancelat وأرلسو  
 حاول التقرير بين الدرس المنطقى للعبارة وقواعد الجملة سعياً إلى التحليل  
 المنطقى للغة الإنسانية عامة.

الفهرس

٦	- وضع علم النحو
٧	- ظهور مصطلح النحو
١٠	- وضع علم النحو
٢٢	- البيئة الأصلية للنحو
٢٤	- أسباب وضع النحو
٤٠	- الطبقات الأولى من النحاة ومراتبهم .
٧٤	- مصادر المادة النحوية .
٧٧	- بدء النشاط النحوي والتأليف .
١٠١	- أطوار التأليف النحوي
١٢٧	- النحو بعد عصر السيوطي .
١٣٢	- أصول النحو
١٤٣	- نظرية النحو العربي
١٥٣	- النظرية النحوية المعاصرة
١٥٤	أ- التاريخ والأعلام
١٩٠	ب- السمات

النحو العربي : تاريخه وخصائصه وأعلامه

الترقيم الدولي

٩٧٧

٣٩٧

٠٥٨٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٩١٣٨